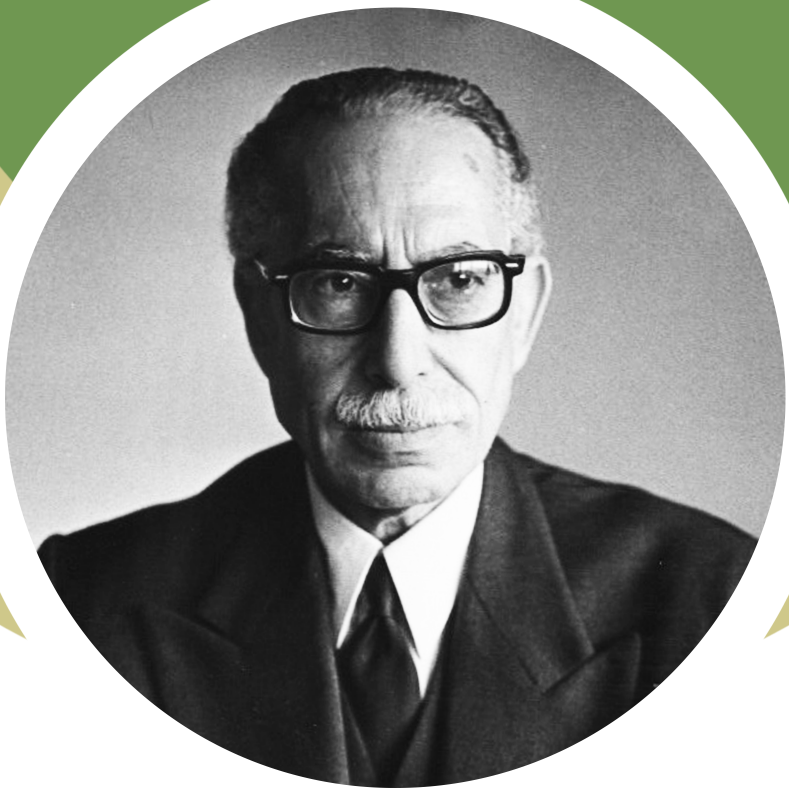

الأيدي الناعمة

توفيق الحكيم

الأيدي الناعمة

تأليف
توفيق الحكيم

هنـــداوي

الأيدي الناعمة

توفيق الحكيم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٥ ٣٩٤١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٥٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٦.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ توفيق الحكيم.

المحتويات

الفصل الأول	٧
الفصل الثاني	٢٩
الفصل الثالث	٥١
الفصل الرابع	٧٥

الفصل الأول

(على شاطئ النيل قرب قصر العيني، حيث يجتمع باعة الذرة المشوية والكعك وغيرهم ينادون عن بُعد على بضاعتهم ... جلس على الحاجز الحجري المطل على النهر شاب لم يبلغ الثلاثين يقرأ بانهماك جريدة يومية تحت مصباح النور ... إنه الدكتور علي حمودة ... لا يمضي قليل حتى يظهر رجل في الخامسة والأربعين، متأنِّق ... يضع في فمه سيجارًا كبيرًا غير مشتعل، فيقف لحظة ينظر إلى النيل نظرة الفارغ اللاهي ... إنه البرنس فريد.)

البرنس (يلتفت إلى الدكتور حمودة ويفحصه بالمونوكل، ثم يقترب منه قائلًا بلهجة الآمر)**:** كبريت ... من فضلك!

الدكتور (وهو مستمر في القراءة لم يرفع رأسه عن الجريدة)**:** متأسف ...

البرنس (يسحب السيجار من فمه، ويضعه في جيب المنديل)**:** أحسن؛ لا داعي للتدخين الآن ... (ويعود إلى النظر إلى النيل، وهو يصفر بفمه أنغام رقصة إفرنجية، ثم يتوقف فجأة ناظرًا إلى الشاب) صفيري يُزعجك؟

الدكتور (بدون أن يرفع عينيه عن الجريدة)**:** أبدًا ...

البرنس (يعود إلى الصفير ... ثم يتوقف فجأة مرة أخرى وينظر إلى الشاب)**:** حضرتك منهمك جدًّا في قراءة الجريدة ... لا بد أنه توجد أخبار خطيرة ... قل لي من فضلك ... أهم الأخبار ... ماذا حدث في البلد؟ ... أنا لم أقرأ جرائد منذ أيام ... لأسباب لا داعي لذكرها الآن ... لكن هذا لا يمنع من أن أسأل عن الأخبار ... ما هي الأخبار؟

الدكتور (يرفع رأسه عن الجريدة، ويلتفت إلى البرنس قائلًا بلهجة كلها صدق وبراءة)**:** الأخبار؟ ... لا أدري والله!

البرنس (وهو يشير إلى الجريدة): لا تدري؟! ... وماذا كنت تقرأ إذن؟!

الدكتور: أخبار الإعلانات!

البرنس: إعلانات؟! ... أنت تشتغل بالتجارة؟

الدكتور: لا ... أبدًا ... أنا أبحث عن عمل!

البرنس: تبحث عن عمل؟... أنت أيضًا؟ ... آه يبدو لي أني أعرفك ... لم أرَ وجهك بالطبع قبل الآن ... ولكن هذا لا يمنع من أن تكون بيننا صلة بعيدة دون أن أعرف ... أسرتنا كما تعلم كبيرة ومتشعِّبة، وليس من الضروري أن يعرف بعضنا البعض ... وأنا على الخصوص دائمًا مبتعد ... حتى عن ابنتي الكبرى ... والصغرى أيضًا؛ لأسباب لا داعي لذكرها الآن ... ولعلك تعرفها ... هذا شيء لم يعُدْ خافيًا في محيط الأسرة ... كانت فضيحة ... وأنت بالطبع أدرى!

الدكتور (دهشًا): أدرى بماذا؟

البرنس: بما حدث لابنتي «مرفت» ... ثم بما صنعته بعد ذلك أختها الصغرى «جيهان» ... كل الأسرة تعرف ... وأنت باعتبار أنك برنس ...

الدكتور (مذهولًا): أنا برنس ...؟

البرنس: ألم تقل إنك تبحث الآن عن عمل؟

الدكتور: نعم ... أبحث عن عمل ... لكن ما هي العلاقة؟

البرنس: آه ... لا تؤاخذني ... أنا لا شك أخطأتُ الفهم ... يحسُن أن تُقدِّم لي نفسك.

الدكتور: أنا اسمي الدكتور علي حمودة.

البرنس: دكتور؟ ... آه ... فهمت سبب وجودك في هذا المكان ... بالقرب من القصر العيني.

الدكتور: لا يا سيدي ... أنا لست دكتورًا من مستشفى القصر العيني ... أنا دكتور من كلية الآداب.

البرنس: كلية الآداب؟!

الدكتور: دكتور في علم النحو.

البرنس: ما هذا؟!

الدكتور: متخصص — على الأصح — في فرع دقيق من هذا العلم؛ وهي حروف الجر.

البرنس: الجر؟ ...

الدكتور: نعم ... حروف الجر ... أي الحروف التي تجرُّ ما بعدها.

البرنس: آه ... فهمت ... ميكانيكي!

الدكتور: لا يا سيدي ... لا ... لا ... لا أقصد جرَّ العربات ... بل جرَّ الأسماء ... في النحو شيء اسمه الجر أي الكسر ... هي حروف عديدة تجُرُّ ما بعدها من اسم، أي تكسره ... وهي أحيانًا يقوم بعضها مقام بعض، وإن كان — والكلام فيما بيننا — من الخطأ الذي تورَّط فيه كثير من العلماء النحاة القول بنيابة حرف جر عن حرف جر ... فالمعنى يتغير تغييرًا دقيقًا طفيفًا في كل حال ... على أن رسالتي في الواقع — تلك التي تقدمتُ بها لنَيْل الدكتوراه — لم تكن في صميمها متعلقة بحروف الجر كلها ... وإلا فأين إذن التخصيص؟ ... إنها كانت منصبَّة ومحصورة في حرف واحد فقط، هو حرف «حتى» ... فقد استهواني قول كبير النحاة العلَّامة سيبويه وهو على فراش موته: «أموت وفي نفسي شيء من حتى»؛ ذلك أن حتى هي — في الحقيقة — مشكلة المشكلات التي حيَّرت العقول ... ومعضلة المعضلات التي شغلت الأذهان ... فهي تجر وتضم وتنصب ... أرأيتَ أعجب من هذا؟ ... فأنت تستطيع أن تقول: «أكلتُ السمكة حتى رأسِها»، بالكسر ... ويمكن أن تقول: «أكلتُ السمكة حتى رأسَها»، بالنصب ... ويجوز لك أن تقول: «أكلتُ السمكة حتى رأسُها»، بالضم ... مفهوم؟

البرنس: طبعًا مفهوم! ... يعني أن السمكة يمكن أن تأكلها دائمًا! ... أليس كذلك؟

الدكتور: نعم ... بالحركات الثلاث كما وضحتُ لك.

البرنس: وأنت دكتور في هذا؟

الدكتور: نعم.

البرنس: لا يا سيدي الفاضل ... ثق أني يوم أريد أن آكل سمكًا فإني لن أحتاج إليك أبدًا! ... قلتَ إنك عاطل؛ وإنك تبحث عن عمل؟

الدكتور: مع الأسف ... لم أجد حتى الآن عملًا!

البرنس: طبيعي؟

الدكتور: الصعوبة في أمري هي أنه لا يوجد لي مكان الآن في الجامعة، وتخصصي العميق في فرعي جعلني غير صالح للتدريس في المدارس الأخرى ... وأنا بفطرتي لم أُخلَق مدرسًا، ولكني خُلِقْتُ عالِمًا ... كانت هوايتي منذ الصغر هي النحو والإعراب ... كنت في نظر زملائي الصغار حلَّال المشكلات العويصة في الإعراب والنحو ... كل شيء يصادفني كنت أعربه، وأشغل نفسي الأيام والليالي في إعرابه ... الدنيا عندي كلها كانت الإعراب ... لا أهتم بشيء غيره ... أفتح الكتب؛ لأعربها لا لأقرأها! ... أعربتُ جميع الكتب والجرائد حتى

دفتر التليفون! ... أما اليوم فكل ما يشغلني من الكون هو كلمة «حتى»؛ صرت أتتبعها في كل سطر يقع عليه نظري ... وأرى أثرها في تحريك ما بعدها ... حتى أصبحَتْ هي التي تُحرِّك وجودي ... هذا الحرف الصغير الضئيل الذي حرَّك قلب سيبويه وهو على أبواب الحياة الأخرى يُحرِّك مصيري أنا أيضًا وأنا على أبواب الحياة العملية!

البرنس: هل عندك إيراد؟

الدكتور: لا ... مات والدي منذ أشهر، ولم يترك لي غير بقرة وجاموسة وعجل ... كان مستأجِرًا لبضعة أفدنة في أحد التفاتيش ... وكان يرسل إليَّ أكثر كسبه؛ لأتعلم ... بعتُ مواشيه؛ لأنفق ثمنها على معيشتي؛ فهو لم يُخلِّف شيئًا، ولم يبقَ معي اليوم ما أعيش به ... لا بد لي إذن من أن أجد عملًا سريعًا ... سريعًا جدًّا!

البرنس: ماذا تستطيع أن تعمل؟

الدكتور: لا أدري بعدُ ... ولكني ...

البرنس: اسمع ... حالتك تهمني!

الدكتور: إنك تفتح لي باب الأمل يا سيدي ... عندك لي عمل؟

البرنس: أنا؟! ...

الدكتور: إني أتوسم فيك الخير ... لعل مقابلتنا الليلة ليست من قبيل المصادفة!

البرنس: ما هو نوع العمل الذي تطلبه؟

الدكتور: أي عمل في الدرجة الخامسة ... لأن شهادة الدكتوراه التي أحملها تعادل الدرجة الخامسة ... تستطيع أن تستعلم عن ذلك من وزارة المعارف.

البرنس: الدرجة الخامسة؟ ... ما هي الدرجة الخامسة؟

الدكتور: الدرجة التي لا يقل مرتبها عن عشرين جنيهًا ... ماهية أصلية ... أول المربوط!

البرنس: عشرون جنيهًا؟! ... كان سائق سيارتي يتقاضى أكثر من ذلك ... هل تستطيع أن تقود سيارة؟

الدكتور: لا يا سيدي ... ولا أقبل.

البرنس: ولا أنا!

الدكتور: أريد وظيفة حكومية أو حرة ... لا يهمني الآن ... المهم وظيفة ...

البرنس: فكرة ... لكن خبِّرني ماذا يمكن أن تعمل في الوظيفة؟ ... أسبق لك الاشتغال بشيء لكسب الرزق؟

الدكتور: لم يسبق لي بعدُ.

البرنس: وأنا كذلك!

الدكتور: حضرتك غني ... هذا ظاهر من شكلك ... ولك سيارة وسائق كما قلتَ ... كلمة منك إذَن أو بطاقة صغيرة تستطيع أن تفتح لي باب الوظائف، وتكون قد أسديتَ إليَّ جميلًا لا أنساه.

البرنس: إنك تتكلم كثيرًا عن الوظائف ... الوظائف ... ما هي الوظيفة؟! ... ماذا يمكن أن نصنع فيها لو وجدناها؟ ... هل عندك فكرة؟!

الدكتور: لا ... أبدًا ... ولكن المسألة بسيطة كما سمعت ... إنها عبارة عن مكتب ... من الصبح إلى الظهر ... ثم مُرتب!

البرنس: مكتب ومُرتب ... هذا لطيف! ... هذا أستطيع أن أفعله ... وإن كنتُ — كلام في سرك — لا أستطيع أن أستيقظ في الصباح قبل الحادية عشرة!

الدكتور: أنت لست محتاجًا ... والنوم — على كل حال — لذيذ جدًّا في الصباح ... إني أيضًا لا أستيقظ إلا متأخرًا ... إني أنام كما أشاء ... لأني لا أجد ما أعمل غير النوم ... وأنت كيف تُمضي وقتك بعد أن تستيقظ؟ ... على فكرة ... لم أتشرف بعدُ بالاسم الكريم!

البرنس: آه ... لا تؤاخذني ... أنا اسمي البرنس فريد ... قصري هنا في جاردن سيتي على بُعد خطوات.

الدكتور (مرتبكًا ينهض)**:** البرنس ... فريد؟ ... حضرتك؟ ... سموُّك؟ ...

البرنس (يشير إليه بالعودة إلى الجلوس)**:** أرجوك ... اجلس ... لا داعي للرسميات الآن ... ألم تقرأ في الجرائد ماذا حدث أمس؟

الدكتور: ماذا حدث؟

البرنس: لم تعرف بعدُ؟ ... أحسن ... فلنتحدث فيما نتحدث فيه ... ولا تُغيِّر طريقتك ... ماذا كنا نقول؟

الدكتور: كنا — يا صاحب السمو — نقول ...

البرنس: تخاطبني بلقبي، فلأخاطبْك أنت أيضًا بلقبك ... تكلم يا دكتور ... كنا نتحدث عن الوظيفة.

(يمر عندئذٍ بائع ذُرة يدفع عربة يد فوقها ذرة خضراء، وموقد صغير يشوي عليه، وهو يُهوي بمروحة من الريش، وينادي على بضاعته.)

البائع (مناديًا)**:** الدرة! ... اللوز! ...

البرنس (يتشمم طويلًا): رائحة الشواء تفتح الشهية ... ما قولك يا دكتور؟!

الدكتور: حقًّا رائحة الذرة لذيذة!

البرنس (مناديًا البائع): اسمع يا شاطر ... اشْوِ لنا كوزين ... قم بنا نتخير ونستكبر! (ينهض ومعه الدكتور، ويتجهان إلى عربة الذرة.)

الدكتور (يُقلِّب في الذرة ويتخيَّر إحداها): أنا أختار لسموِّك هذا الكوز ... طري وملآن ... وهذا كوز آخر لا يقل عنه ... (للبائع) بكم الكوز يا عم!

البائع: بقرش صاغ.

البرنس: قرش صاغ؟! الكوز الواحد ...؟

البائع: كثير ...؟

البرنس: طبعًا كثير ... بكم تشتري الكوز من الغيط بشرفك؟ ... إن كان عند مثلك شرف!

البائع: قبَّحنا بالعَجَل! ... الكلام يكون بالإنسانية يا باشاوات!

البرنس: لا تراوغ ... تكلم ... أنا كان عندي أطيان وعارف ... لو كان الكوز بنصف قرش فقط لوصل إيراد الفدان إلى مبالغ ...!

البائع: الكوز بقرش صاغ ... أشوي؟

البرنس: طبعًا ... اشْوِ كوزين ... أنا فقط أردتُ أن أُظهر طمعكم وجشعكم!

البائع (وهو يضع الكوزين على الفحم): طمعنا وجشعنا؟! وشرفك — وجنابك طبعًا من أصحاب الشرف — أنا قمت من النوم في أي ساعة؟ ... قبل أذان الفجر بمدة ... والنجوم طالعة، رحنا الغيط أنا والولد ابني قلعنا الدرة وحمَّلنا العربة ... وجئتُ بها ماشيًا على قدمي في الطلِّ والندى ... مِن قريتنا ... فوق إمبابة بمسافة ... إلى أن وصلت إلى هنا ... وطول النهار وأنا واقف على رِجلي أشتغل ... والليل دخل الآن ... وإلى أن أعود إلى قريتي على قدمي — أنا والعربة — وأتعشى بلقمتي وأضع جنبي إلى الأرض يكون الليل قارب الانتصاف ... كل هذا التعب بثمن أو بدون ثمن؟ وإذا كان تعب مثلي ليس له ثمن ... فمن أين أُطعِم الأولاد الصغار؟

الدكتور: عندك أولاد؟

البائع: عندي أولاد صغار في سن الرعاية ... وعندي وَلدان كبيران في سن التعليم ... يذهبان بعد الظهر إلى مدرسة القرية ... أما في الصباح فيعملان في كسب رزقهما.

الدكتور: كسب رزقهما؟ ... أين؟

البائع: أحدهما يعمل في الغيط ... في قيراطين اشتريتهما من وفر كسبي وتدبير امرأتي التي تُربِّي الدجاج وتبيع البيض ... في هذين القيراطين نزرع الذرة التي أبيعها هنا على العربة ... أما الولد الآخر فيعمل أجيرًا في دكان فحَّام، ومن هذا الدكان أجلب الفحم الذي أشوي عليه.

الدكتور: يعني زيتك في دقيقك!

البرنس: بل قُل: دُراه في فحمه!

(يضحكان.)

البائع (وهو يمرُّ بالمروحة على الكوزين)**:** لولا الفحم ما كان ينشوي الذرة ... كل ولد من أولادي لا بد أن يكون له عمل ... فلَّاح ... فحَّام ... المهم الشغل وكسب اللقمة ... وعدم العطل.

الدكتور: والمدرسة؟ ... العلم؟ ...

البائع: العلم عندنا — بلا قافية — هو الشغل ... تفضَّل كوزك ... اصبر أغلِّفه لك بورقه الأخضر؛ حتى لا يحرق أصابعك ... عندنا لا نعرف العالِم ولا الجاهل ... الناس عندنا إما عامل وإما عاطل ... إما نافع يشتغل ويعرق ويفيد نفسه وغيره ... وإما صايع — من غير مؤاخذة — لا شغلة ... ولا مشغلة تنفعه وتنفع الناس ... وهذا في عُرْفنا — يا أولاد البلد — لا يُعتبر أنه رجل ... تفضل الكوز!

الدكتور (يناول الكوز للبرنس)**:** تفضَّل سموُّك أولًا.

البرنس: لا ... لا ... تفضَّل أنت يا دكتور.

البائع (يُقدِّم الكوز الآخر)**:** الكوز الثاني جاهز ... حضرتك دكتور هنا؟ ... لي قريب بيتعالج هنا في القصر العيني!

البرنس (بسرعة)**:** لا ... لا ... حضرته ليس دكتور هنا ... حضرته دكتور في ... في شيء آخر ... كم تريد في الكوزين؟ ... قرشين؟!

البائع: قرشين صاغ.

البرنس (وهو يبتعد بكوزه إلى حيث كان أمام النيل)**:** ادفع له يا دكتور! ... الأمراء كالملوك لا يحملون نقودًا!

(الدكتور يُخرِج من جيبه قرشين، وينقد بائع الذرة الذي ينصرف بعربته ... ويعود الدكتور بكوزه إلى مكانه من حاجز النيل الحجري.)

البائع (ينادي مبتعدًا بعربته): الدرة! ... اللوز! ...

الدكتور (يقضم كوزه شارد الفكر): آه ... رحمة الله عليه!

البرنس (وهو يقضم الكوز أيضًا في يده بشراهة): من هو؟!

الدكتور: المرحوم والدي ... لم أعاونه في شيء ... بل هو الذي كافح وعرق ليرسل لي ما أنفقه.

البرنس: حقًّا ... أولادنا لا يجلبون لنا غير المصائب ... تصوَّر ابنتي مرفت التي ربَّيتها في العز ... ماذا فعلت لتكافئ والدها؟ ... أول شيء بمجرد بلوغها الحادية والعشرين هو أنها جلبت لي العار، وصيَّرتني أضحوكة في الأسرة ...

الدكتور: العار؟! ... ماذا فعلت؟!

البرنس: لم يعجبها خطيبها النبيل مدحت ... وأحبَّت شابًّا قذرًا ... هو ميكانيكي في جراج كانت تصلح فيه سيارتها الكابريوليه، وتزوجته — يا سيدي — على الرغم من أنفي ... وسكنت معه في حجرتين في عمارة بحي حقير ... وأنجبت منه ثلاثة أولاد أكبرهم الآن في السادسة أو السابعة على ما أذكر ... أنا لم أرَ بالطبع هؤلاء الأولاد ... لن أراهم أبدًا، ولم أرها هي منذ سنوات ... لكن الأدهى والأمرَّ أن أختها الصغرى جيهان قد تركت بيتي منذ عام هي الأخرى ... بعد عيد ميلادها الثامن عشر ... وقررت اللحاق بأختها والسكن معها ... هذه المنكِرة للجميل أيضًا ... تتركني وحيدًا مع الخدم ... فزوجتي ماتت من سبع سنوات ... من أثر الصدمة ... صدمة الفضيحة والعار ... هذا هو خَلَفي الذي أنجبتُه ... أرأيتَ أقذر من هذا الخلف؟ (يبصق في الأرض.)

الدكتور (وهو يقضم الذرة): ما رأي سموِّك في هذه الذرة المشوية؟

البرنس (بحماسة): لذيذة جدًّا!

الدكتور: أراك تلتهمها حقًّا بمنتهى الشهية!

البرنس: إنها مغذية ... أليس كذلك؟

الدكتور: ومحرشة للمعدة، ومحتوية على فيتامينات ...

البرنس: طبعًا أنت دكتور وتعرف ... آه ... عفوًا ... أقصد أنك ... كيف عرفتَ فوائدها؟

الدكتور: هذا شيء معروف في الذرة!

البرنس: أنا لم أكن أعرفها — مع الأسف الشديد — كنت أمرُّ بسيارتي من هنا، وأصادف هذه العربات وهؤلاء الباعة بملابسهم الممزقة؛ فتشمئز نفسي ... وأحسبها شيئًا

قذرًا ... من أين لي أن أعرف أن ما احتقرته هو في الواقع شيء ممتع ومفيد؟ (يقضم كوزه بنهم.)

(يسمع بغتة بوق سيارة، وصرير وقوفها بعنف مفاجئ.)

الدكتور (ناظرًا جهة الصوت): يا ساتر ... سيارة كادت تصدم عربة الذرة!
البرنس: هذا البائع المسكين ... السعيد بكدحه وأولاده ... عينٌ أصابته، نحن — ولا شك — حسدناه! ... ألا تظن ذلك؟
الدكتور: ربما ... ولكن الله سلَّم ... لم تمسه السيارة بسوء.
البرنس (مشاهدًا وهو يقضم كوزه): الغلطة طبعًا غلطة السائق ... رجل متهوِّر فيما أرى ... وإلى جواره امرأتان ... أليس كذلك؟
الدكتور (مدققًا البصر): نعم ... في مقتبل العمر.
البرنس: إنه يحتاج إلى درس ... انتظر.

(يهبط من مجلسه فوق الحاجز الحجري، ويتجه — والكوز في يده — نحو الصوت والسيارة ... حيث يعلو لغط مختلط غير مفهوم؛ مما يحدث عادةً في الشارع بين المارة عند وقوع هذه الحوادث.)

الدكتور (صائحًا): لا تضربه يا صاحب السمو ... ليس لنا شأن! (ينظر مشاهدًا لحظة ثم يصيح دهشًا)، ما شاء الله ... السيدتان تتعلقان بسموه ... إنهما تُشبِعانه تقبيلًا ... وأي سيدتين؟! ... جمال وأناقة ولطافة! ... ما شاء الله ... الذرة نأكلها معًا ... أما هذا فله وحده ... طيب ... طيب ... (يستمر في النظر)، عجبًا! ... إنه يدفعهما عنه ... إنه غاضب ... بطر ... بطر والعياذ بالله! ... ها هو قادم!

(لا تمضي لحظة حتى يعود البرنس مقطب الجبين، وهو يخفي كوز الذرة في ثنايا سترته.)

البرنس (صائحًا بغضب): مستحيل! ... مستحيل! ...
الدكتور (ناهضًا): أنا مستعد!
البرنس: لا أقبل مطلقًا ... لا أقبل مطلقًا ...
الدكتور: أنا قابِل!

(تظهر في الحال آنسة في التاسعة عشرة، هي جيهان، تجري برشاقة نحو البرنس.)

جيهان: كلمة واحدة يا بابا ... كلمة ... يجب أن تستمع إلى مرفت ... تعالَيْ يا مرفت ...

مرفت (تظهر مسرعةً)**:** بابا ... أرجوك ... اسمعني ... دقيقة واحدة!

البرنس: أعرف ما ستقولين.

مرفت: لا ... أنت لا تعرف بعدُ شيئًا مما سأقول ... لأن هناك أشياء كثيرة قد حدثت لا تعلمها ... لأنك لا تريد أن تعلم عني شيئًا ... أظن هذا المكان غير مناسب للكلام ... لو انتقلنا إلى البيت ...

البرنس: بيتي؟ ... مستحيل ... لقد أقسمتُ ألَّا تدخلي بيتي أبدًا!

جيهان: لقد جئنا من هناك الآن ... لم نجدك هناك بالطبع ... ولم نجد أحدًا ...

مرفت: ولولا وقوف السيارة على هذا النحو لما عثرنا عليك الساعة!

البرنس: ولماذا تريدين أن تعثري عليَّ الآن؟

مرفت: لأعرض عليك أمرًا مُهمًّا.

البرنس: تكلمي بسرعة.

مرفت (تتلفَّت حولها ناظرةً إلى الدكتور حمودة)**:** هنا؟ ... هكذا؟ ... وأمام ...

البرنس: وما الضرر؟ ... أمرك معروف لكل الناس ... وحضرته على الخصوص يعرف ... (للدكتور مُقدِّمًا) إنك فهمتَ طبعًا أنهما الخلَف الصالح ... حضرته الدكتور حمودة ... دكتور اختصاصي في ... في أكل ذيل السمك ... أقصد ... لا تؤاخذني ... نسيتُ بالضبط ... اشرح لها أنتَ الذي قلتَ لي ... على كل حال ليس الآن ... ليس الآن ...

مرفت: تشرفنا يا دكتور ... تسمح أكلم بابا كلمتين؟!

الدكتور (مرتبكًا)**:** تفضَّلي يا هانم!

(مرفت تتجه إلى أبيها، مديرةً ظهرها إلى الدكتور، وهي تشير إلى أختها جيهان بأن تبقى هي مع الدكتور ... فتبتعد به خطوتين بلباقة، وتشغله بالحديث.)

جيهان: حضرتك دكتور في علم البحار؟!

الدكتور: البحار؟! ... وما هي المناسبة؟

جيهان: السمك ... ألم يقل بابا الآن ...؟

الدكتور: لا ... أبدًا ... أنا أخصائي في علم النحو.
جيهان: وما العلاقة بين النحو والسمك؟

(يظهر الارتباك على وجه الدكتور حمودة، ويحاول أن يشرح بحركات يديه، وجيهان تضحك بلطف، وهذا كله في منظر صامت ... وينتقل الحديث إلى البرنس ومرفت ...)

البرنس (متعاليًا وهو يخفي كوز الذرة)**:** قولي باختصار ... ماذا تطلبين مني؟
مرفت: لا أطلب منك شيئًا يا بابا ... نحن جئنا لنسألك أن تطلب أنت منا كل ما تريد!
البرنس: أطلب منكم؟!
مرفت: نعم يا أبي ... نحن تحت تصرفك ... أنا وزوجي «سالم» ... أنت بالطبع لم تعرف بعدُ حالتنا المالية اليوم ... الشاب الميكانيكي الفقير بالأمس، هو الآن صاحب جراج كبير، ومصنع لعمل «شاسيهات» السيارات ... أتعرف أين أقطن اليوم يا بابا؟ ... في فيلا ملكنا بالمعادي ... لأن ثروة زوجي تقرب الآن من الخمسين ألف جنيه ... بالطبع لم نصل إلى هذه الحال إلا بعد أن عشنا حياة الضنك وذقنا مرارة الحرمان سنوات ... واحتملنا كثيرًا ... وصبرنا طويلًا ... وكدحنا وكافحنا وناضلنا ... حاربنا الفقر بالعمل ... ونجحنا والحمد الله.
البرنس (بخشونة)**:** كل هذا لا يهمني.
مرفت: أعرف ذلك يا بابا ... ولكننا لا نستطيع الآن أن نتركك مجردًا محتاجًا.
البرنس: من قال لكم إني محتاج؟! ... إني لم أزل في قصري!
مرفت: لم تزل في قصرك ... هذا صحيح ... ولكن قانون الثورة قد جرَّد الأمراء والنبلاء من ألقابهم وأموالهم؛ ليعملوا مثل الآخرين ... وأنا أعرف أنك لا تُحسِن أي عمل!
البرنس: هذا شأني!
مرفت: وشأني أيضًا ... أنت أبي على كل حال ... وإذا كنتَ قد أغلقت بيتك في وجهي ووجه زوجي ... فإن بيتنا مفتوح لك في كل حين ... ثق أنها ليست فكرتي وحدي ... إنما هو سالم ... ذلك الرجل الكريم الخُلُق ... قد سبقني إلى التفكير في مصيرك وهو يطالع الجرائد ويتتبع الأخبار.
البرنس: تفكرون في التصدق والإحسان عليَّ؟!

مرفت: لا تضع الأمر هذا الوضع ... إنما هو عرفان للجميل.

البرنس: يا لسخرية الأقدار! ... هذا الشاب القذر الحقير يريد أن يتصدَّق على أسياده؟!

مرفت: إنك لست سيده ... بأي حق تقول ذلك؟!

البرنس: تنكرين هذا الحق؟! ... انحدرتِ يا ملعونة ... انحدرتِ إلى مستوى هؤلاء الكلاب؟!

مرفت: تستطيع يا بابا أن تهينني ... ولكن لا تُهِن زوجي ... إنه رجل ... رجل ... اعتمد على ذراعه وخُلقه ... لم يأنف يومًا من ارتداء لباس العامل الملطَّخ بالشحم والزيت؛ ليعمل تحت إمرة أسطى في الورشة — وهو المهندس خريج الجامعة — حتى ألمَّ بالجانب العملي، وعاش من برَكة العمل اليدوي — كما قال — وصعد السلَّم من أسفله ... واستطاع أن يكتشف طريقة جديدة لتحسين الكاربوراتير ... هكذا شقَّ طريقه، واستحق في نظري كل احترام ... نعم ... إني لم أكن مخطئة يوم تركتُ خطيبي الأول ... ذلك النبيل المُخنَّث الذي لا يُحسِن شيئًا غير التطلُّع في المرآة، وعقد ربطة عنقه!

البرنس: أولاد الأصول ... من أسرتنا العريقة ... لستِ بهم جديرة!

مرفت: أسرتنا العريقة؟! ... مَن مُؤسسها؟! ... شاب ميكانيكي؟! ... لا ... بل شاب فقير حقير كان يعمل في دكان دخان! ... أليس كذلك ... ولكنه عمل ونجح ... فجاء أحفاده الذين لا يعملون شيئًا يُسمُّون عمله أصلًا عريقًا ... غدًا يأتي أحفاد زوجي سالم؛ فيعيشون على سمعة عمله ويسمُّونه الأصل العريق ... ما من أصل إلا وفي جذوره عمل ... الأصل هو العمل ... ولا شيء غير ذلك.

البرنس: عمل ... عمل ... عمل ... العمل للخدم والعبيد!

مرفت: العمل هو الحرية ... لقد تعلمتُ أشياء كثيرة منذ عشتُ مع زوجي سالم ... شعرتُ أني إنسانة تعيش حقًّا منذ بدأت يداي تعملان ... شعرت أني بدأتُ أنطلق من سجن الفراغ ... لست أدري كيف تطيق الحياة بغير عمل يا أبي ... إني أرثى لك!

البرنس: أنتِ التي ترثين لي؟ ... يا للعجب! ... لقد انقلبت الأوضاع! ... في كل شيء ... وانتهى الأمر!

مرفت: بابا ... دعني أنقذك!

البرنس: ماذا تقولين؟

مرفت: إنك أسأت فهْمنا الساعة، حين ظننتَ أننا فكَّرنا في التصدُّق والإحسان ... لا ... لا ... إننا أردنا أن نعاونك على أن تعيش كما يجب أن يعيش إنسان كريم ... فكرنا في أن نسند إليك عملًا ...

البرنس (بغضب)**:** عملًا؟ ... في جراج زوجك! ... يا لَكِ من وقحة!

مرفت: لا ... لا تغضب ... ليس في جراج زوجي ... بل في مكان مستقل لن يخدش إحساسك العمل فيه ... دعْ زوجي سالم يوضح لك ... إنه ينتظر في السيارة إشارة مني؛ فهو لا يريد أن يُقحِم نفسه عليك بغير إذنك ... سأدعوه ... (تشير بيدها مُلوِّحةً وتصيح) سالم ... سالم ... (ثم تلتفت إلى أبيها) أحسِن استقباله من أجلي ... أرجوك ...

(سالم يظهر، وهو رجل في نحو الخامسة والثلاثين ... حسن الزي، في غير أناقة مفتعلة، ويقف لحظة حائرًا بين الرجلين والمرأتين ... إلى أن تتم عملية التعارف.)

مرفت (تُقدِّم زوجها لأبيها)**:** طبعًا هذه أول مرة ترى فيها زوجي سالم.

سالم (في تلعثم)**:** إني سعيد ... (ثم يمد يده.)

(البرنس يمد يده التي بها الكوز، ثم يخفيها بسرعة، ويمد الأخرى بدون كلام، وهو يفحص سالم بنظرة متعالية.)

مرفت (تُسرِع بإنقاذ الموقف، فتقدِّم زوجها للدكتور)**:** زوجي سالم سعداوي ... (ثم تقدم الدكتور وقد نسيت اسمه) الدكتور ...

جيهان (تبادر بذكر الاسم)**:** الدكتور علي حمودة.

سالم: تشرفنا يا دكتور.

مرفت: عن إذنكم! ... (تقود زوجها ناحية أبيها) تعالَ يا سالم وضِّح لبابا وجهة نظرك في الموضوع إياه.

البرنس (في صيحة غضب)**:** مرفت ... لا شك أنكِ جُننتِ!

مرفت (مأخوذةً)**:** أنا؟

البرنس: ما هذه الجرأة؟! ... كيف تجسُرين على فتح موضوع يمس شئوني الخاصة ... وتسمحين لشخص غريب لم أره قبل الآن أن يخوض فيه؟!

مرفت: شخص غريب؟!

البرنس: بالنسبة إليَّ أنا على الأقل.

سالم: نحن — يا سيدي — لم نُرِد التدخُّل في شئونك الخاصة ... ولكنا أردنا أن نضع ما عندنا من جهد تحت تصرُّفك.

البرنس: هل طلبتُ إليكم ذلك؟

سالم: لا ... ولكن ...

البرنس: إنك تخطئ إذا ظننتَ أني سأتضوَّر جوعًا ... وأنك أنت الذي ستنقذني!

سالم: لم يخطر ذلك ببالي ... كل ما في الأمر ...

البرنس: يجب أن تفهم أني لست في حاجة إلى شيء ... ولا إلى أحد ... ويوم أحتاج إلى معونة، فإني لن أطلبها منك أنت على كل حال.

سالم: أنا متأسف.

مرفت: بل أنا المتأسفة يا عزيزي سالم.

سالم (يمد يده إلى البرنس): مهما يكن من أمر، فإني سعيد بلقاء والد زوجتي ... أسعدت مساءً يا سيدي.

البرنس (بغير أن يمد يده): أسعدتَ مساءً!

مرفت (تُسلِّم على أبيها): إني أفهم حالتك جيدًا ... أورفوار يا بابا.

البرنس (يمد يده التي بها كوز الذرة): أورفوار!

مرفت (ترى الكوز): ما هذا؟

البرنس (يُخفي كوز الذرة بسرعة): لا شيء ... لا شيء.

مرفت: كان يسرُّنا أن تتناول معنا العشاء الليلة.

البرنس: ليست عندي شهية للأكل!

مرفت (لأبيها وهي تلحق بزوجها سالم): إنك متكبر وعنيد ... أرجو ألَّا أيأس منك يومًا ... تعالَي يا جيهان.

جيهان (تترك مكانها بجوار الدكتور، وقد كانا ينظران إلى النيل ويتحادثان): انتهيتِ يا مرفت؟ ... هكذا بهذه السرعة؟!

مرفت: لا فائدة يا جيهان!

جيهان (تلتفت إلى أبيها): بابا ... ألم يحصل تفاهم؟

البرنس: الحقي بأختك ... مع السلامة!

مرفت (لأختها الحيرى): تعالي يا جيهان ... لا تضيعي الوقت ... أنا أخبرك بكل شيء.

جيهان (تُسلِّم على أبيها): أورفوار يا بابا.

البرنس: أورفوار.

(جيهان تلتفت إلى الدكتور وتُحيِّيه، وكذلك يُحيِّيه سالم ومرفت بإشارة من الرأس قبل مغادرتهم جميعًا المكان ... ولا تلبث السيارة أن تتحرك ويُسمع بُوقها ... والدكتور يُشيِّعها بنظراته ... وعندئذٍ يُظهِر البرنس كوز الذرة، ويستأنف الأكل بشهية.)

الدكتور (وهو لا يزال يُشيِّع السيارة بأنظاره): في منتهى الظُّرف والتواضع!
البرنس (وهو مشغول بالأكل): مَن؟
الدكتور (وفكره شارد بعيدًا): الآنسة ...
البرنس (وهو يأكل): أي آنسة؟!
الدكتور: كريمة سموِّك!
البرنس (يبصق ما في فمه): اسكت ... لا تصدَّ نفسي!
الدكتور: سبحان الله!
البرنس: العِرْق دسَّاس ... أمُّهما كان فيها عرق مصري ... بلدي ... أبوها كانت أمه جارية من هنا ... من بنات البلد!
الدكتور: وما الضرر؟
البرنس: لقد رأيتَ النتيجة بعينيك!
الدكتور: نتيجة سارَّة!
البرنس (بغضب): ماذا تقول؟!
الدكتور: ما كنت أحسب بنات البرنسات بهذا اللطف ... كانت الآنسة تحادثني كما لو كنتُ زميلًا لها في الجامعة ... قالت لي إنها تعلمت في مدرسة الحياة في عام واحد أكثر مما تعلمته على أيدي المعلمات والمربيات في خمسة عشر عامًا ... ثم نظرَتْ إلى النيل وحدثتني طويلًا ... أتدري في ماذا يا صاحب السمو؟ ... في صناعة صيد السمك ... لم أفهم بعدُ ما الذي جعلها تظن أن لي صلة بذلك، ولكنها ذكرت — على كل حال — ملحوظات طريفة ... قالت إنها قرأت عن صناعة صيد السمك بواسطة الكهرباء في إحدى المجلات العلمية التي يطالعها زوج أختها ... ومن رأيها أن طريقة الصيد العتيقة لن تجعل من هذا المورد الطبيعي من موارد مصر الخصبة صناعة كبرى، لكن هذا سيحدث حتمًا — كما سمعت من زوج أختها — يوم تتوافر القوة الكهربائية، ويوم يصبح السمك في نيلنا الكبير وبحيراتنا العديدة وبحارنا الواسعة مادة للتصدير الخارجي وللاستهلاك المحلي على نطاق

واسع ... قالت الآنسة: يجب أن يأتي اليوم الذي يجد فيه كل فرد من الشعب مهما يكن فقيرًا طعامه الوفير من هذا السمك المغذي، بالثمن الزهيد الذي يحصل به على الطعمية والفول المدمس.

البرنس (وهو يقذف الكوز بعد أكل ما فيه في النيل)**:** والذرة المشوية.

الدكتور: مثلًا!

البرنس: وهل نحن دفعنا ثمنًا زهيدًا في هذه الذرة المشوية؟! ... اسمع ... ما داموا قد تعلموا في هذا البلد الطمع والجشع، فلن يباع شيء بثمن زهيد!

(يُسمع صوت بائع ينادي على بضاعته ... ثم يظهر وهو يدفع عربة كبيرة مغطاة بالزجاج.)

البائع (ينادي)**:** فول وطعمية وبيض وبسبوسة!

الدكتور (وهو يتأمله)**:** مطعم متحرك!

البرنس: نعم ... ومن يجسُر أن يتناول شيئًا منه؟ ... لقد شوانا بائع الذرة المشوية ... فهل تريد أن يقلينا بائع البيض والطعمية؟

الدكتور: سُموُّك جوعان؟!

البرنس: لا ... لقد تعشيتُ وانتهى الأمر ... كوز الذرة فيه الغذاء الكافي — كما تقول — وإن كان لا بأس من الحلو ... ماذا تقترح؟

الدكتور: طبق بسبوسة؟!

البرنس: فكرة وجيهة!

الدكتور: انتظر سموك حتى أُعُدَّ ما في جيبي من نقود!

(يُخرِج نقوده ويَعُدُّها.)

البرنس (بلهجة الأمر)**:** أسرِع!

الدكتور (يفرغ من العدِّ، ويضع النقود في جيبه)**:** تستطيع أن تطمئن يا صاحب السمو ... ستتناول الحلو.

البرنس: وأنت؟

الدكتور: وأنا أيضًا.

البرنس: برافو! … (ينادي البائع) اسمع يا … شاطر! … طبق بسبوسة لي وطبق للبك. (يشير إلى الدكتور بإصبعه ليتبعه، ويتجهان إلى العربة، ويقفان حولها ينظران إلى الصينية!)

بائع البسبوسة (وهو يقطع ويضع في الطبق)**:** سمن زيادة؟

البرنس: طبعًا … طبعًا …

الدكتور: اتوصى بنا يا معلم!

بائع البسبوسة: أنتم الخير والبركة! (يمدُّ الطبق، فيتناوله البرنس.)

البرنس (وهو يشرع في الأكل)**:** كلام طيب … يُستحسن الآن يا دكتور عدم السؤال عن الثمن … حتى نتمتع بالطبق بدون منغصات!

البائع: المسألة بسيطة! (يمدُّ الطبق الآخر للدكتور.)

البرنس: طبعًا بالنسبة إليك … أنت طبعًا عندك أولاد … أحدهم — ولا شك — يعمل عند تاجر سمن … والآخر في دكان دقيق … هنا نستطيع أن نقول: إن زيتك أو — على الأصح — سمنك في دقيقك بحق وحقيق! … أليست فراستي في محلها؟

البائع: لا يا أستاذ — وأنت الصادق — عندي ثلاثة أولاد … كلهم في الجامعة.

الدكتور (والطعام في فمه)**:** في الجامعة؟!

البرنس: تلاميذ؟!

البائع: كانوا تلامذة من سنين … وتخرجوا … واحد ليسانس حقوق … والثاني دبلوم تجارة … والثالث بكالوريوس زراعة.

البرنس: ما شاء الله! … ماذا يشتغلون الآن؟

البائع: لا شيء … في البيت!

الدكتور: لم يجدوا عملًا؟

البائع: قدَّموا طلبات للتوظُّف … ولكن لا توجد الآن وظائف، ونحن في انتظار الفرج من المولى — سبحانه وتعالى — مَن يدري … ربما توافينا الأيام على غير ميعاد بناس كحضراتكم من ذوي النفوذ والقدرة يقدمون لنا المساعدة … وإذا صدقت فراستي فأنتم من أصحاب الهمة والمقدرة على توظيف الأولاد.

الدكتور: مَن يوظفهم؟

البائع: حضرتك وحضرته … ألستما من أصحاب الوظائف؟

الدكتور (ساخرًا)**:** العفو!

البائع: من أصحاب الأعمال؟

البرنس: أي أعمال؟! ... أنت ليس عندك نظر بالمرة؟!

البائع: لا تؤاخذني ... أنا علمي على قدي ... أنا لم أذهب إلى مدرسة ... كل تعليمي كان في كُتَّاب من كتاتيب سيدنا الحسين ... وعرفت القراءة والكتابة بالممارسة ومطالعة الجرائد ... وكوَّنت معلوماتي بالقوة ... ومعاركة الأيام والليالي ... فأنا إذا كنت غلطت في حق حضراتكم فأنا أرجو السماح والمعذرة.

الدكتور: لم تغلط في شيء يا معلم.

البائع: أنا كل غرضي أن أرجو حضراتكم المساعدة في إيجاد عمل.

الدكتور: أنا بالفعل جاري البحث.

البائع: الله يعمر بيتك! ... هذا وعد بأنك ستبحث؟!

الدكتور: وهل يشغلني إلا هذا الموضوع؟!

البائع: وإذا وفَّقك الله في البحث وعثرتَ على عمل ... أين أجد حضرتك؟

الدكتور: لن تجدني هنا بالطبع!

البائع: مفهوم ... أعطني إذن عنوانك ... عنوان البيت أو الشغل.

الدكتور: عنوان الشغل؟

البائع: إذا تفضلتَ!

الدكتور: يجب أن يوجد الشغل أولًا حتى يوجد عنوانه!

البائع (لم يدرك المقصود)**:** قصد حضرتك ...

البرنس: قصد حضرتنا إننا مشغولون بأعمال كبرى أهم عندنا من البحث عن شغل لأولاد حضرتك ... ومع ذلك لماذا لا يشتغلون مثلك؟

البائع: مثلي؟ ... يجرُّون هذه العربة؟

البرنس: ولِمَ لا؟ (يغافل البائع، ويغرف من السمن الذي في الوعاء إلى طبقه.)

البائع: إنهم بيكوات ... كانوا في الجامعة إذا سُئِلُوا عن أبيهم احمرَّت وجوههم خجلًا ... فإذا دخلوا البيت مدُّوا أيديهم لأبيهم يطلبون مصروفات الملابس والكرافاتات وثمن دخول السينمات! ... قلت لهم بالأمس فقط افعلوا مثلي ... إني أكسب من هذه العربة جنيهًا في اليوم ... وهذه العربة التي أدفعها من الصبح إلى الليل هي التي دفعتكم إلى ما وصلتم إليه ... وها أنتم اليوم أساتذة وأصحاب ليسانس ودبلوم وبكالوريوس، وما زالت العربة الحقيرة هي التي تنفق عليكم يا حضرات الأساتذة البيكوات!

البرنس (بقوة): اطردهم!

البائع: وأين يذهبون؟ ... إنهم لا يستطيعون أن يكتسبوا مليمًا ... والوالد والد على كل حال!

البرنس (وهو يمد يده إلى وعاء السمن، ويغرف منه إلى طبقه مغافلًا البائع): وماذا تريد أن نصنع لك؟

البائع: ولو شغلة كتابية بسيطة بعشرة جنيهات ... إنهم الآن يقبلون ذلك ... ولو أنهم يقولون إن مؤهلاتهم وشهاداتهم تعطيهم الحق في الدرجة السادسة على الأقل!

البرنس: ما هذه الدرجة السادسة أيضًا؟

الدكتور: أول مربوطها اثنا عشر جنيهًا.

البائع (للدكتور): تمام ... حضرتك عارف!

البرنس: هذا السمن مخلوط ... لو كان أحدهم اشتغل عند تاجر سمن ...؟

البائع: لا يا سيدي الفاضل ... هذا سمن بلدي عالٍ ... وهل نجده بسهولة هذا السمن الأصلي؟ ... إنه أغلى من الذهب!

البرنس: اغرف لي منه قليلًا ... بسبوستك ناشفة!

البائع: على العين والرأس! (يغرف له نصف ملعقة) وحضرتك طبعًا لك شغل مهم!

البرنس (وهو يلتهم): طبعًا!

البائع: ولا مؤاخذة ... في أي جهة الشغل؟

البرنس: شغلي؟ ... ليس له جهة!

البائع: قصدي ... من أي نوع؟

البرنس: ليس له نوع!

البائع: يعني؟ ...

البرنس: يعني ... مضبوط ... كما تقول ... تمام!

البائع: أنا لم أقل أي شيء!

البرنس: أنت حر!

البائع: يظهر أني فهمت!

البرنس: كان يجب أن تفهم!

البائع: حضرتك لا بد أن تكون من البيكوات إياهم!

البرنس (وهو يمد يده إلى وعاء السمن): أنا بيك فقط؟! ... أنا أكثر من باشا ... ألا تعرف من أنا؟ ... أنا ...

البائع (وهو يُبعد وعاء السمن عن يد البرنس): مفهوم ... الله ... الله ... حاسب السمن!

البرنس: يظهر أنك عديم الذوق ... قليل الطهي ... (للدكتور) ادفع له حسابه بسرعة ... بسرعة!

البائع: قليل الطهي؟! ... أنا يا ناس؟ ... بسبوسة بقرشين يلحس عليها حضرته رطل سمن؟!

الدكتور (متدخلًا بلطف): حقك علينا يا معلم ... روَّق بالك! ... خد حسابك مع جزيل الشكر. (ينقده الثمن.)

البائع: عشت يا ابني! ... كرامة لإنسانيتك ولفظك الحلو كل شيء يهون ... سلام عليكم ... (يدفع عربته وهو ينادي) فول وطعمية ... وبيض وبسبوسة.

البرنس (وهو يمشي إلى مكانه الأول قرب النيل): أنا لا أعرف التفاهم مع هذه الطبقة أبدًا!

الدكتور (كالمخاطِب نفسه): عجيب ما قاله هذا الرجل! ... لم ألتفت إلى ذلك من قبل! ... المرحوم والدي — إذن — كان يفكر هذا التفكير.

البرنس (وهو مشغول بإخراج السيجار الكبير من جيبه): أي تفكير؟!

الدكتور (متابعًا تأملاته شارد اللُّب): ولكنه لم يفاتحني بشيء على الإطلاق ... كان يعمل طول حياته ليدفع ثمن تعليمي ... وهأنذا الآن قد تعلمت ... ولم أدفع له أي شيء ... عمله قد خدم علمي ... ما الذي يجب أن يخدم الآخر؟ ... العمل هو الذي يخدم العلم؟ ... أم العلم هو الذي يخدم العمل؟ ... هل العلم شيء منعزل عن العمل؟ ... وماذا يصنع عندئذٍ للناس؟ ... وما قيمته في الحياة؟ وما معناه؟

(تُسمع دقات ساعة كبيرة عن بُعد.)

البرنس: ساعة القصر العيني!

الدكتور (متابعًا تأملاته): يا للعجب!

البرنس: ماذا؟

الدكتور: كلام بائع الذرة! ... كان يقول منذ لحظة: «العلم عندنا هو الشغل ... كيف أدرك ذلك الذي نسميه جاهلًا، ولم يدركه مثلي؟! ... إنهما حقًّا كذلك ... لا وجود لهما في الحياة إلا وهما متداخلان ... أحدهما يؤدي إلى الآخر ... بل إنهما لمتَّحِدان حتى في اللفظ

... العلم ... العمل! ... الفرق بينهما مجرد اختلاف يسير في موضع اللام والميم ... ضع الميم قبل اللام أو بعدها يصبح أحدهما هو الآخر ... نعم ... نعم ... ألاحظتَ ذلك يا صاحب السمُو؟ ... هذا اكتشاف للتو والساعة ... اكتشاف ... يا له من اكتشاف!

البرنس: الساعة دقت العاشرة ... وهذا فيما أظن ليس وقت الاكتشافات في علمك الذي ... نسيتُ اسمه — ولا مؤاخذة — (ينهض متحركًا) أنا مضطر أن أعود إلى القصر؛ لأستريح وأنام مبكرًا ... وأنت؟ ... أين بيتك؟

الدكتور (شاردًا)**:** بيتي؟

البرنس: طبعًا بيتك؟ ... ألا تنام ليلًا في بيت؟

الدكتور: أنا ... أنام في فندق بسيط بحي الأزهر.

البرنس: بالنقود طبعًا ... كم تدفع؟

الدكتور: عشرة قروش في الليلة ... ولكني ...

البرنس: في إمكانك توفير نقود الفندق ... اسمع ... عندي في القصر عشرون حجرة خالية ... أحتفظ أنا لنفسي بواحدة، والباقية تحت تصرفك ... ما رأيك؟

الدكتور: شكرًا ... ولكن هذا كثير!

البرنس: تقصد العشرين حجرة؟! ... بدون شك ... ولكن من الذي برغمك على أن تشغلها كلها؟!

الدكتور: بل أقصد ...

البرنس: لا تقصد شيئًا! ... هلم بنا.

الدكتور: أقبل الضيافة مؤقتًا ... إلى أن أجد عملًا.

البرنس: عملًا ... لك أنت فقط؟ ... كيف؟

الدكتور: ربما عثرتُ في إعلانات الجرائد!

البرنس: إعلانات الجرائد؟! ... برافو! ... برافو ... اسمع ... خطرت لي الآن فكرة نيِّرة جدًّا ... أرني الجريدة التي معك ... (يتناول منه الجريدة) أين الإعلانات؟ ... آه ... هنا ... شيء بديع. حل الموضوع ...

الدكتور: أي موضوع؟!

البرنس: غدًا تعرف ... وتُهنِّئني ... نعم ستُهنِّئني غدًا على هذا الاكتشاف ... نعم أنا الذي سأكتشف شيئًا نافعًا لا أنت ... الآن هيا بنا إلى القصر ... انتظر حتى أشعل السيجار ... هذه عادتي بعد العَشاء ... أدخن سيجاري الهافانا!

الدكتور: تريد سموك الكبريت؟ ... لا يوجد معي كبريت.

البرنس: ها هي علبة كبريت بأكملها ... (يُظهرها من جيبه) تنفعنا الليلة وغدًا ... أخذتها برشاقة من أمام بائع البسبوسة، وهو منهمك في الثرثرة!

الدكتور: سرقتَها؟

البرنس (وهو يُشعل سيجاره بالكبريت)**:** هذا بالنسبة إليك أنت وأمثالك يُعتبر سرقة ... أما بالنسبة إلينا — نحن أولياء النعم؛ الأمراء والملوك — فنأخذ من الناس ما نريد، ويُعتبر هذا حقًّا لنا، وتشريفًا لهم! (ينفخ دخان السيجار في الهواء) ... إلى القصر.

(ثم يمشي بكبريائه وتعاليه ... يتبعه الدكتور في صمت.)

الفصل الثاني

(قصر البرنس فريد ... بهو فاخر الرياش، به سُلم كبير يؤدي إلى الطابق الثاني ... شمس الصباح تملأ المكان ... ولكن غطيط النوم العميق يرتفع من جثتين متقابلتين في البهو بينهما منضدة كبيرة فوقها آنية زهر ثمينة فارغة ... في إحدى الجهتين ينام البرنس فوق أريكة من أرائك البهو، وفي الجهة الأخرى ينام الدكتور حمودة فوق أريكة مماثلة ... جرس الباب يدق فلا يتحرك النائمان ... ويعود الجرس إلى الرنين طويلًا، فينقطع غطيط البرنس فجأة ... ويستيقظ رافعًا رأسه دور أن يترك فراشه.)

البرنس: جرس الباب! ... دكتور! ...

(الدكتور يرسل غطيطًا طويلًا ولا يُجيب.)

البرنس (صائحًا)**:** دكتور ... دكتور ...

الدكتور (يستيقظ فجأةً)**:** ماذا جرى؟

البرنس: جرس الباب يرن ... قم وافتح يا دكتور!

الدكتور: قم وافتح أنت يا ... صاحب السمو السابق! (يعود إلى نومه وغطيطه.)

البرنس: شيء جميل! ... حسنة وأنا سيدك! ... أنت لست هنا في فندقك الحقير بحي سيدنا الحسين ... أنت الآن هنا في قصري ... في قصري الفاخر يا دكتور ... افهم ذلك جيدًا يا دكتور ... وانهض بسرعة يا دكتور!

الدكتور (يكفُّ عن النوم ويرفع رأسه)**:** أف ... وبعدها لك؟! ... يا صاحب الـ... اسمع! ... أنا لا أحب مَن يُزعجني في هذا الصباح الباكر ... أنا كنت في فندق «الكوكب المنير» بحي

الأزهر أنام ملء جفوني نومًا لذيذًا كما يحلو لي ... لا أجد بجانبي أميرًا من الأمراء يملأ أذني طنينًا: دكتور ... دكتور ... دكتور ...

البرنس: ولكن الشمس طالعة منذ وقت طويل ولا شك ... والباب يدق ... وربما كان هذا أحد زباين الإعلان الذي ننتظره!

الدكتور: أنت قد استيقظت قبلي ... لماذا لا تنهض أنت وتفتح؟

البرنس: أنا أذهب لأفتح الباب؟!

الدكتور: كثير عليك؟!

البرنس: إني غير معتاد ...

الدكتور: وأنا كذلك!

البرنس: ماذا؟ ... لا تعرف كيف تفتح بابًا؟!

الدكتور: لم يكن عندي قصر له باب حتى أتعوَّد فتحه!

البرنس: تعلَّم.

الدكتور: ولماذا لا تتعلم أنت؟ ... لماذا تستمرُّ في اعتبار نفسك خيرًا مني؟ ... أنت مُفلِس وأنا مُفلِس ... ولقد عرفتُ كل شيء عنك الآن، وعرفتَ أنت كل شيء عني ... نحن معًا مفلسان ... أليس كذلك؟ ... وأنت صاحب سموٍّ سابق، وأنا دكتور حالي! ... أي أن لقبك مفقود ولقبي موجود! ... فأنا في هذا خير منك ... أنت تستطيع أن تقول لي دائمًا: «يا دكتور» ... وأنا لا أستطيع أن أناديك بـ «يا صاحب السمو السابق» إلا تبرُّعًا!

البرنس: تبرُّعًا؟!

الدكتور: أليست هي الحقيقة؟ ... وحتى قصرك الفاخر هذا لم يعُد قصرك؟ ... القانون لا يبيح لك أن تمس فيه قشة ... ولا أن تؤجره أو تُعِيره ... لك فقط أن تقيم فيه ... أن يؤويك ... وها هو ذا يؤويك الآن!

البرنس: ويؤويك أنت أيضًا!

الدكتور: ليس هذا فضلًا منك — كما توهمتُ أنا ليلة دعوتني إليه منذ يومين — لو كان دافعك مجرد الكرم لما دخلتُه في حياتي! ... ولكن الخدم والحشم قد هجروه ... وأصبحتَ فيه وحدك ... وأنت معتاد أن تُخدَم ... أليس كذلك؟ ... أنت وحدك في قصر فخم ضخم ... تجلس الآن في حجرتك وتضغط على زر الجرس فما من مُجيب ... أتذكر الليلة الأولى؟ ... يوم دخلنا وصعدتَ أنت إلى حجرتك في الطابق الثاني ... ولم يمضِ من الليل قليل حتى نسيتَ أنت حاضرك، وأخذت تضغط على زر الجرس تطلب الخادم ليسقيك

كوب ماء؟! ... فنصحتُك أن تترك حجرتك النائية، وأن نتخذ هذا البهو الواسع مكانًا لنومنا وجلوسنا ... ليلبِّي أحدنا طلب الآخر ... ونكون بقرب الباب الكبير! ... أتذكر؟

البرنس: وهل نفَّذتَ أنت الاتفاق؟ ... هل لبَّيتَ لي طلبًا؟ ... قلتُ لك: قم وافتح!

الدكتور: لا يا سيدي الفاضل ... تلبية الطلبات ليس معناها خدمتك ... بل معناها إسعافك وقت اللزوم!

البرنس: إسعافي؟! ... تقصد أنه لا بد أن تقع على رأسي مصيبة حتى تلبي لي طلبًا؟!

الدكتور: بالضبط! ... أما فيما عدا ذلك، فكل منا يخدم نفسه بنفسه.

البرنس: والباب؟ ... أليس هذا شيئًا يهمُّنا نحن معًا؟ ... مَن يدريك أن الطارق ما جاء إلا لك أنت؟

الدكتور: لي أنا؟! ... العفو! ... هذا العنوان الفاخر من يمكن أن يسأل عني فيه؟

البرنس (وهو يُصغي إلى صوت الجرس يعود إلى الرنين)**:** أراهن أنه لك!

الدكتور: أنا أراهن أنه لك أنت!

البرنس: قبلتُ الرهان ... اذهب وانظر!

الدكتور: يا لكَ من عنيد يا صاحب السمو السابق! ... تصرُّ على أن أفتح؟ فليكن ... سأفتح هذه المرة وأرى لِمَن القادم؟ (ينهض ويتحرك نحو الباب الكبير.)

البرنس: لا يا دكتور ... ليس الباب الكبير ... هذا جرس باب الخدم ... «السرفيس»!

الدكتور (بصوت ذي مغزًى)**:** فهمتُك يا ... نهايته ...

(الدكتور يتحرك إلى ناحية باب الخدم ... بينما ينهض البرنس على قدميه، ويأخذ في تحريك يديه وقدميه وعمل التمرينات الرياضية الصباحية.)

البرنس (وهو يرفع يديه)**:** بير ... هيك ... بير ... هيك ...

الدكتور (يعود بعد لحظة)**:** هات الرهان من فضلك!

البرنس (وهو يُجري التمرينات)**:** القادم لي أنا؟!

الدكتور: طبعًا ... ولمن غيرك؟

البرنس: من هو؟

الدكتور: الزبال!

البرنس: ماذا يريد؟

الدكتور: زبالة المطبخ طبعًا!

البرنس: وماذا قلتَ له؟ ... المطبخ مغلق ... نحن لا نطبخ الآن!

الدكتور: قلتُ له ذلك ... قلتُ له: لا أحد هنا الآن ... ولا توجد زبالة الآن هنا ... غير البرنس!

البرنس: ماذا تقول؟

الدكتور: أقصد لا يوجد في القصر الآن هنا غيرك!

البرنس: مضبوط ... اسمع ... على ذكر الزبالة ... لا بد من تنظيم هذا البهو بسرعة و... كنس السلم.

الدكتور: كنس السلم؟!

البرنس: ضروري ... الإعلان نُشِر أمس ... وربما حضر اليوم بعض الناس ... ويجب أن يجدوا القصر في منتهى النظافة.

الدكتور: بدون شك!

البرنس: اتفقنا ... المكنسة عندك بالقرب من المطبخ ... هاتها وأرني هِمَّتك!

الدكتور: همَّتي؟! ... وهمتك أنت أين راحت؟!

البرنس: أنا عليَّ تنظيم البهو.

الدكتور: مفهوم ... الشغلة النظيفة التي تليق بمقامك السامي ... أما الكنس والمسح فمن نصيبي أنا! ... أنا الدكتور على حمودة الحائز على دكتوراه كلية الآداب بدرجة جيد جدًّا! ... يا لسوء الحال، وخيبة المآل، وضيعة الآمال!

البرنس: لا تغضب يا دكتور ... المسألة غير مقصودة ... كل ما في الأمر أني أفهم أكثر منك في مسألة تنظيم البهو!

الدكتور: ومسألة الكنس ... لا يفهمها غيري؟! ... أليس كذلك؟ ... أقسم لك إني ما أمسكت بمكنسة قط في حياتي.

البرنس: ولا أنا طبعًا.

الدكتور: أنا لم أعرف غير الإمساك بكتب الأدب.

البرنس: ولكن الإمساك بكتب أدبك الآن لا يحل لنا الإشكال ... هذا المكان لا بد أن يُنظَّف بسرعة ... مَن ينظفه؟

الدكتور: أنت! ...

البرنس: لا أعرف ... لا تنسَ أني كنتُ ...

الدكتور: بالطبع ... لا تعرف غير الضغط على زر الجرس!

البرنس: والعمل الآن؟ ... هذه المناقشة العقيمة لن تؤدي إلى شيء ... ونحن ... لا نعرف أن نعمل شيئًا لتنظيف المكان ... وهذا القصر يجب أن يُنظَّف ... هذا في مصلحتنا ... في مصلحتي ومصلحتك ... لأن الفكرة إذا نجحت فمعناها أن نجد أنا وأنت المسكن والطعام والخدمة والعناية بنا دون أن نعمل عملًا أو ننفق مليمًا ... أليس كذلك؟

الدكتور: اسمع ... لا داعي للكنس والمسح ... ولا لزوم لبهدلتنا، مَن سيأتي ليقطن هذا القصر سيُحضر — ولا شك — الخدم الذين يقومون بذلك ... يكفينا الآن مجرد ترتيب البهو كما كان ... كل منا يقوم بتنظيم ركنه ... هيا بنا.

البرنس: معقول!

الدكتور (وهو يتجه إلى أريكته)**:** قبل كل شيء، يجب أن نضع الأرائك في أماكنها.

البرنس (وهو يحمل أغطية فرشه)**:** وأن نسوي الأغطية والمفارش هكذا ... ونخفيها تحت المقاعد!

(جرس الباب الكبير يرن.)

الدكتور: الباب! ...

البرنس: هذا جرس الباب الكبير!

الدكتور (بارتباك)**:** لا بد أنه ...

البرنس (يتحرَّك مُرتبكًا)**:** نعم ... الإعلان ... أسرِعْ ... انتظر! ... أتقابلهم هكذا ... بالبيجاما ... أنا عندي الروب دي شامبر (يرتدي في الحال روبه، ويلتفت إلى الدكتور الحائر) ... وأنت؟

الدكتور: ليس عندي روب!

البرنس: إذن البس «الجاكته» فوق بيجامتك ... هذا أخفُّ الضررَين.

الدكتور: فكرة! (يُسرِع بارتداء جاكتة البدلة فوق بيجامته.)

البرنس: مَن يفتح؟

الدكتور: شكلي غير مناسب!

البرنس: بل مناسب جدًّا لفتح الباب!

الدكتور: عُدنا إلى الكلام الفارغ!

البرنس: لا ... لا ... ليس عندنا الآن وقت للمناقشة ... سأفتح أنا هذه المرة.

(يتجه إلى الباب الكبير ويفتحه، فيظهر على العتبة رجل متوسط العمر (هو شعبان أفندي.)

شعبان أفندي: هنا القصر المعلن عنه في الجريدة؟

البرنس: بالضبط!

شعبان: البك والست في العربة تحت ... تسمح لها حضرتك بإلقاء نظرة على الغرف والمحتويات؟

البرنس: بالطبع ... تفضلوا!

شعبان: لحظة واحدة! (يختفي في الحال.)

الدكتور (وهو ينظِّم المقاعد)**:** البك والست؟! ... مَن يكون حضرته وحضرتها؟ ... برنسات؟ ... مستحيل ... انتهى! ... أصحاب أطيان؟ ... لا يمكن بعد تحديد الملكية بمائتين من الفدادين ... إنهما على كل حال من الأغنياء ... حتى يسكنا هذا القصر كله ... مع ما يستلزمه من خدم ... نعم ... لا بد أن يكونا غنيَّيْن ... من أي نوع تظن؟

البرنس: ربما ... من أصحاب المصانع ... مَن يدري؟

الدكتور: حقًّا ... لقد قالت لي كريمتك الآنسة جيهان ...

البرنس (مقاطعًا وهو ينظر إلى الباب المفتوح)**:** اسكت اسكت ... ها هم قادمون!

(يظهر شعبان أفندي، وهو يدفع الباب؛ ليوسع طريقًا لسيدة ضخمة في الخمسين، يتبعها رجل في الستين، أنيق الملبس نشيط الحركة.)

الست (للبرنس)**:** بونجور يا بك!

البرنس: بونجور يا هانم!

الست: تسمح لنا ...؟

البرنس: طبعًا ... طبعًا ... تفضلوا!

البك (بعد أن سلَّم على البرنس)**:** حضرتك بالطبع المالك؟

البرنس (مترددًا)**:** أظن ... بالتأكيد ... بالتأكيد ...

البك (لزوجته وهو يجيل النظر في أنحاء البهو)**:** قصر فخم يا ظاظا!

الست (لزوجها وهي تتأمل ما حولها بإعجاب)**:** جدًّا يا لولو!

البك (للبرنس)**:** يحتوي على كم حجرة؟

البرنس: حوالي عشرين.

الست: عين المطلوب!

البرنس: الأسرة كبيرة إلى هذا الحد؟!

البك: كبيرة، وفي ازدياد مستمر ... هي حتى الآن — خلافي أنا وزوجتي والخدم — تضم نحو أربعين فردًا!

البرنس: ما شاء الله! ... ما شاء الله! ... ولكن العشرين حجرة لن تكفي أيضًا على هذا الوضع!

الست: انتظر حتى أحسب ... نعم ... تكفي ... كل حجرة يمكن أن نضع فيها أربعة معًا ... ممكن ... ممكن.

البرنس: كل أربعة في حجرة؟

البك: وعند اللزوم كل خمسة في حجرة ... ما المانع؟

الست: لا يا لولو ... لا أحب أن أحشرهم حشرًا ... لقد تركنا منزلنا بمصر الجديدة خصيصًا من أجلهم ... لنُدبِّر لهم المسكن المتسع الفسيح ... يرتعون فيه بكل راحة وحرية وبحبوحة ... دعنا أولًا نشاهد الغرف ... (للبرنس) ممكن ...؟

البرنس: طبعًا ... القصر تحت تصرفكم.

الست: نبدأ بغرف النوم والحمامات ...

البرنس: فلنصعد إذن إلى الطابق الثاني ... تفضلوا ... اتبعوني.

البك (وهو يتجه إلى السلم): هنا خلاف البهو توجد — فيما أظن — قاعة الطعام والصالونات وحجرة المكتب ... ونحو ذلك.

البرنس (وهو يصعد بالست والبك السُّلَّم): بالضبط.

(يختفون في الطابق الثاني ... ولا يبقى في البهو غير شعبان أفندي، والدكتور الواقف في رُكنه بلا حراك.)

شعبان (للدكتور): تسمح حضرتك بسؤال بسيط؟

الدكتور: تفضل!

شعبان: حضرتك بالضرورة تعرف الموضوع ...

الدكتور: أي موضوع؟

شعبان: قصدي هذه الشغلة ... أنا مستعد أنهيها بأي مبلغ يعجبكم ... اطلبوا أي مبلغ ولا يهمكم ... أصحابنا معهم نقود ... لا يأكلها حطب ولا نار ... اتركوا لي الشغلة وأنا أخلصها ... ولي السمسرة ... اتفقنا؟

الدكتور: حضرتك غلطان ... أنا ليس لي شأن في هذا الموضوع!
شعبان: وأنا مثلك ... لا شأن لي ... ولكن الشغل شغل.
الدكتور: أي شغل؟
شعبان: شغلنا ... أنت طبعًا وكيل أشغاله ... كما أني وكيل أشغال أصحابنا ... نبقى متفاهمين ... كالمعتاد ... نتقاسم السمسرة بالنصف!
الدكتور: متأسف ... أنا لست وكيل أشغال ... أنا هنا مجرد ضيف!
شعبان: ضيف؟! ... آه ... لا تؤاخذني!
الدكتور: العفو ... حضرتك إذن وكيل أشغال هذا البك؟
شعبان: من عشرين سنة.
الدكتور: وما هي أشغاله؟
شعبان: القطن.
الدكتور: صاحب أرض؟
شعبان: ليس له شبر أرض ... يشتغل فقط في القطن.
الدكتور: مُزارِع؟
شعبان: لا يا سيدي الفاضل ... لم يزرع ولم يقلع، ولم يذهب عمره إلى بلاد الفلاحين!
الدكتور: وكيف يشتغل إذن في القطن؟
شعبان: في البورصة ... البورصة!
الدكتور: ماذا يعمل هناك؟
شعبان: منشار ... يأكل في الصعود ويأكل في الهبوط!
الدكتور: هذا كل عمله؟!
شعبان: فقط!
الدكتور: وجمع من ذلك ثروة؟
شعبان: ضخمة ... وظَّفها في العمارات والأسهم والسندات.
الدكتور: عنده طبعًا أولاد ... عدد كبير!
شعبان: لا ولد ولا بنت ... لم يُنجب.
الدكتور: ماذا تقول؟ ... لم يُنجب؟! ... وهذه الأسرة الكبيرة من أربعين فردًا!
شعبان: ليسوا أولاده ...
الدكتور: أولاد الست ... زوجته؟
شعبان: ولا أولاد الست!

الدكتور: أولاد الأقارب؟ ... أولاد الملاجئ؟

شعبان: ولا أقارب ... ولا ملاجئ ... ولا أولاد ... ولا بني آدم! من غير مؤاخذة ... قطط!

الدكتور: قطط؟!

شعبان: الست تمارس هواية تربية القطط!

الدكتور: شيء لطيف!

شعبان: للقطط عندنا غرف مخصوصة ... وخدم خصوصيون ... وأكل مخصوص، ولحم من عند الجزار مخصوص ... وطباخ مخصوص!

الدكتور: اللهم اجعلنا من برَكَاتهم!

شعبان: عز ... مال من غير تعب ولا شقا! ...

الدكتور: ودودة القطن — أقصد منشار القطن — ما زال عمله الأكل في البورصة؟

شعبان: بورصة القطن أقفلوها ... فحوَّلنا الشغل على بورصة الأسهم والسندات ... ولو أن خيرها قليل ... لكن من اغتنى من القطن اغتنى وانتهى الأمر.

الدكتور: وحضرتك ...؟

شعبان (يلتفت إلى أعلى السلم)**:** البك والست ...

(تظهر الست والبك وخلفهما البرنس يهبطون درجات السلم.)

الست: أظن عدد الغرف يكفي.

البرنس: بالتأكيد يا هانم ... كل غرفة يمكن أن تتسع بالراحة لأكثر من سريرين وكومودينو وشيفونيير ... وكل ما تريدون.

الست: فقط عدد الحمامات قليل!

البرنس: قليل؟ ... أربعة حمامات؟ ... مهما يكن عدد أفراد الأسرة كبيرًا، فإنهم لن يستحمُّوا كلهم في وقت واحد ... خصوصًا أن مواعيد الاستحمام في العادة مختلف ... أليس كذلك؟

الست: لا بأس ... سأدبِّر هذا الأمر ... على كل حال المكان متسع ومريح ... إني مسرورة ... ما رأيك يا لولو؟

البك: ما دُمتِ مسرورة يا ظاظا فأنا مسرور ... أنتِ وحدكِ التي تُقدرين راحة أعزائك!

الست: إني أتصور أعزائي هنا في أتم راحة وسعادة ... خصوصًا: ظريفة، وزقزوق، ومشمش، وفرهود، وسعيدة، ومرجان، وعنبة، وعنقود ...

البرنس: أسماء جميلة ... أصحابها — ولا شك — أجمل!

الست: وأي جمال وأي ظُرف ... (للبرنس مباهيةً) تصوَّر يا بك أن «ظريفة» نالت الجائزة الأولى في مسابقة عالمية في «إكس ليبان» العام الماضي ...

البرنس: في الجمال؟! ... هذا شيء عظيم ... إني أودُّ التشرُّف برؤيتها!

الست: ستراها بدون شك، وستُعجب بها مثلي.

البرنس: صغيرة السن بالطبع!

الست: جدًّا!

البرنس: هذا صحيح ... لي بنتان كنت أحبهما وأعجب بهما عندما كانتا صغيرتين ... فلما كبرت سنُّهما تغيَّرت نظرتي نحوهما.

الست: ومع ذلك فإن «سعيدة» أيضًا جميلة، مع أنها كبيرة السن!

البرنس: ربما كانت طيبة الطباع ... وهذا خير من الجمال!

الست: إنها حقًّا طيبة الطبع مطيعة ... تجلس في موضعها ولا تتحرك إلا إذ أشرتُ إليها.

البرنس: أرأيتِ — يا سيدتي — هذا ما كنت أتمناه في ابنتيَّ الكبرى والصغرى ... الطاعة ... الطاعة!

الست: عندي من كل صنف ... عندي المطيع والعفريت ... عندي الذي يحب الهدوء والذي يحب الحركة ... الذي يلزم مكانه والذي يهيم بالحرية ...

البرنس (من بين أسنانه)**:** الحرية ... الحرية ... نعم ... مع الأسف!

الست: على كل حال ... في مثل هذا القصر المتسع سيعيش الجميع في هناء ... أليس كذلك يا لولو؟

البك: أظن ... يستحسن الآن أن نتكلم في الشروط ... المكان أعجب الست وأعجبني ... كم الإيجار الشهري؟

البرنس: هل قرأتم الإعلان جيدًا؟

البك: قرأنا الإعلان ... إعلان مقتضب مبهم ... هو على ما أذكر: «قصر للسكن بدون ثمن»!

البرنس: نعم ... بدون ثمن!

البك: طبعًا هذا من قبيل الترغيب ... أي أن الثمن أو الإيجار المحدد للسكن بسيط بالنسبة لفخامة القصر!

البرنس: لا يا سيدي ... المقصود هو بالضبط المنشور في الإعلان ... هذا القصر معروض للسكن بلا إيجار ولا ثمن!

البك: أهذا معقول؟

البرنس: ألم تقرأ الجرائد يا بك؟ ... هذا قصر أحد الأمراء ...

البك: آه ... فهمت الآن ... هذا قصر أمير ... وحضرتك ...؟

البرنس: أنا ... أنا البرنس فريد ... أقصد سابقًا!

البك: تشرفنا ... وهذا القصر متروك لسكنك!

البرنس: بالضبط ... ومحظور إيجاره أو استغلاله ... ومن جهة أخرى لا أستطيع أن أسكن فيه بمفردي ... لذلك وجدتُ الحل: أن أدعو أسرة من الأسر تسكنه ... على أن ...

البك: مفهوم ... على أن تسكن معها ... (يلتفت إلى زوجته) ما رأيكِ يا ظاظا؟

الست: يعني البرنس يريد أن يحتفظ لنفسه بحجرة في هذا القصر، وأن نتكفل نحن بجميع طلباته ... أليس كذلك يا لولو؟

البك: نعم ... هذا هو المقصود.

الست: وما المانع يا لولو؟ ... هذا لن يكلفنا شيئًا ... الخدم كثيرون والطعام موجود ... وغسل الملابس وكيُّها يتم عندنا كل يوم.

البك: صدقتِ يا عزيزتي ... إن خدمته لن تكون شيئًا إلى جانب خدمة أعزائك الأربعين! ... اتفقنا إذن يا سيدي البرنس ... اختر لنفسك الحجرة التي تعجبك ... هل أنت بمفردك حقًّا؟

البرنس: نعم ... بمفردي ... والأنسب لي بالطبع الحجرة المنعزلة هنا في هذا الطابق قرب قاعة المكتب!

الدكتور (يتقدم)**:** وأنا؟ ... أنسيتَني؟

البرنس (متجاهلًا إياه)**:** أنت؟ ... مَن أنت؟

الدكتور: مَن أنا؟! ... أهذا هو الاتفاق؟!

البرنس: أي اتفاق؟ ... من أين طلعت لي حضرتك؟!

الدكتور: الآن تسأل من أين طلعتُ لك؟! ... من عند بائع الذرة وبائع البسبوسة! ... متشكر على كل حال! (يتحرك للانصراف.)

البك: اسمحوا لي بكلمة ... القصر متسع ... ولا يضايقنا على الإطلاق شغل حجرة أخرى بضيف آخر ... حضرته ...؟

البرنس: حضرته الدكتور ... (آمرًا الدكتور) قدِّمْ نفسك.

الدكتور: أنا اسمي الدكتور على حمودة.

البك: تشرفنا يا دكتور ... حضرتك دكتور في ...؟

البرنس (بسرعة)**:** في السمك!

الست (في صيحة فرح)**:** بيطري؟! ... طبيب بيطري؟! ... يا حُسن حظنا! ... هذا من بختنا وبخت أعزائي! ... القصر كله تحت أمرك يا دكتور ... اختر أحسن حجرة تعجبك يا دكتور!

الدكتور: لا يا سيدتي ... متأسف! ... أنا لست طبيب سمك ولا قطط ... أنا دكتور في علم النحو.

الست: علم ماذا ...؟

الدكتور: قصدي دكتور من كلية الآداب.

الست (في خيبة أمل)**:** آه.

البك: على أي حال، نحن على أتمِّ استعداد لخدمة البرنس وخدمة الدكتور.

الدكتور (مرتبكًا)**:** أنا — في الحقيقة — في غاية الخجل ... وعاجز عن شكركم.

البك: لا ... العفو ... المسألة في منتهى البساطة ... (يلتفت إلى البرنس) اتفقنا إذن يا سيدي البرنس على كل شيء؟

البرنس: تقريبًا ... لم يبقَ إلا شرط أخير.

البك: تفضَّل!

البرنس: يجب الاتفاق فيما بيننا على صفة إقامتكم في هذا القصر ... لا يجب أن يفهم أحد أنكم مستأجرون ... وإلا تعرضتُ أنا للمسئولية.

البك: صحيح ... وإذن؟

البرنس: إذن يجب أن تكون لإقامتكم هنا صفة مقبولة.

البك: حقًّا ...

البرنس: لا يوجد غير صفة واحدة مقبولة معقولة لإقامتكم معي هنا؛ هي أن تقولوا إني أحد أقاربكم!

البك: أنتَ أحد أقاربنا؟!

الست (صائحةً)**:** وصلنا إلى هذا؟! ... كل شيء إلا هذا ... هيا بنا يا لولو ... بسرعة يا لولو ... بسرعة!

البك (وهو يقود زوجته إلى الباب): نحن في شدة الأسف ... لا تؤاخذونا ... في شدة الأسف ... سلام عليكم!

(يخرج البك والست ووكيل الأشغال بغاية السرعة، كمن يهرب من مصيبة ... تاركين البرنس والدكتور واقفين مذهولين.)

البرنس: ماذا جرى لهم؟! ... مجانين ولا شك!

الدكتور: بل عقلاء جدًّا!

البرنس: لماذا هرولوا هكذا نحو الباب؟!

الدكتور: لأنك أردت أن تجعلهم أقارب لك!

البرنس: هذا شيء يُشرِّفهم!

الدكتور: ها أنت ذا قد رأيتَ بعينيك!

البرنس: يهربون هكذا؟ كأن مصيبة ستلحق بهم!

الدكتور: وأي مصيبة ...!

البرنس: ماذا تقول؟

الدكتور: هؤلاء ناس أغنياء من ذوي الأعمال ... لهم أموالهم ومصالحهم التي لا يدري أحد كيف تكوَّنت، ولا من أي طريق جاءت ... أتريد أن يتعرضوا للبحث والفحص ... عندما يقال إنهم أقارب لبرنس مثل حضرتك؟!

البرنس: آه ... فهمتُ!

الدكتور: نعم ... يجب أن تفهم أن الاقتراب من مثلك مخاطرة لمن كان صاحب مال أو مركز!

البرنس: والعمل الآن؟ ... لقد ضاعت آمالنا إذن؟

الدكتور: آمالك أنت وحدك!

البرنس: وأنت؟

الدكتور: أنا؟ ... وما شأنك بي؟ ... وماذا يهمُّك الآن من أمري؟ ... إنك لم تكد الساعة ترى مشكلتك تُحَلُّ حتى نسيتَني وأنكرتَني.

البرنس: لا تكن أحمق ... إني كنت أمزح معك!

الدكتور: لا ... بل هي أنانيتك!

البرنس: الوقت غير مناسب لإلقاء الاتهامات ... لا تُفسد ما بيننا من صداقة بهذا الكلام الفارغ ... نحن الآن في مأزق ... إذا لم ينجح الإعلان فماذا يكون مصيرنا؟ ... تكلم في هذا الأمر المفيد.

الدكتور: ولماذا تريد أن أربط مصيري بمصيرك؟

البرنس: ألسنا في نفس الوضع؟

الدكتور: نعم ... ولكنا لسنا بنفس المؤهلات!

البرنس: المؤهلات؟!

الدكتور: أنسيتَ أني دكتور؟!

البرنس: آه ... اسكت ... لا تُضحكني!

الدكتور: لا ... أنت مخطئ ... مهما يكن من أمر فأنا رجل لي مركزي ... ولا بد لي أن أجد عملًا — يومًا ما — يليق بي!

البرنس: إلى أن تجد هذا العمل اللائق بك فنحن متساويان في الظروف ... المصلحة أن نتعاون بكل همة وصفاء ذمة؛ للعثور على ...

الدكتور: عمل؟

البرنس: بل على مَن يخدمنا بدون عمل ... هذا هو الوضع ... هذا هو الوضع الذي اعتدنا عليه ... الوضع اللائق بنا ... أليس كذلك؟

الدكتور: ليس هذا بالأمر السهل الآن ... كما رأيتَ!

البرنس: مَن يدري ... هل أنت يائس؟

الدكتور: وأنت؟ ...

البرنس: إني أنتظر ... قد يأتينا أناس آخرون يقبلون الشروط ... إننا لم نزل في أول النهار.

الدكتور: بعد الذي رأيتُ من هرب هؤلاء ... لا أستطيع أن أتفاءل كثيرًا.

البرنس: هربوا عندها عرضتُ عليهم قرابتي ... يا لهم من أنذال! ... اسمع ... عندي فكرة! ... فكرة مدهشة!

الدكتور: ما هي؟

البرنس: إذا جاءنا أناس آخرون، فإننا نعرض عليهم الموضوع على وجه آخر ... أتدري كيف؟ ... نقترح عليهم أن يقولوا إنهم أقاربك أنت ... أتراهم يخافون إذا عرضنا عليهم ذلك؟

الدكتور: أن يقولوا إنهم أقاربي أنا؟ ... طبعًا لن يخافوا ... ولكن هذا لن يحلَّ المُشْكِل ... لأن القصر ليس قصري؛ بل قصرك!

البرنس: مفهوم ... ولكنك أنت الذي ستستقبل الناس على اعتبار أنك المقيم فيه ... وأنك صاحب الإعلان ... وتشترط عليهم أن يقولوا إنهم من أقاربك ... وهم — ولا شك — لن يرفضوا ... فأنت اسمك الدكتور حمودة لا البرنس فريد!

الدكتور: وإذا سُئِلْتُ عن صفتي في قصر البرنس السابق فريد؟

البرنس: عندئذٍ تقول إنك من أقاربي!

الدكتور: أنا من أقاربك؟

البرنس: وما الذي تخشاه أنت من ذلك؟ ... هل عندك مال أو مركز تخاف عليه؟

الدكتور: صدقت ... ولكن ...

البرنس: ولكن ماذا؟ ... أيرفض مثلك هذا الشرف؟!

الدكتور: دعنا الآن من حكاية الشرف! ... إني أفكر في الموضوع من الناحية العملية ... كل هذه الشبكة «الملخبطة»، من قرابة زيد لعمرو، وقرابة عمرو لزيد؛ ستؤدي في النهاية إلى نقطة واحدة هي البرنس ... أي حضرتك ... وهذه النقطة الواحدة تكفي أن تعكر البحر كله.

البرنس: احفظ لسانك!

الدكتور: لا مؤاخذة! ... لا أقصد شخصك ... أنا أتكلم عن موضوعنا بصفة عامة.

البرنس: والنتيجة؟

الدكتور: النتيجة ... هي أننا ...

(جرس الباب الكبير يرن.)

البرنس (في لهفة)**:** الباب! ...

الدكتور: لعله الفرج! ... افتح بسرعة!

البرنس: افتح أنت ... لقد جربتُ حظي!

الدكتور: صدقت! ... فلنجرب حظي أنا ...

(يتجه الدكتور إلى الباب ويفتحه ... فتظهر على العتبة امرأة شابة، في نحو الثالثة والثلاثين أو الخامسة والثلاثين، هي «كريمة» ... وهي وسيمة وديعة في ثياب بسيطة، ولكنها منسجمة على قدها المعتدل ومظهرها المحتشم ... وقد ظهر خلفها رجل وقور قارب السبعين، يحمل في يده مِسبَحة.)

كريمة (في شيء من الحياء): جئنا من أجل الإعلان!

الدكتور (وهو يُفسِح الطريق): تفضلوا!

كريمة (وهي تُقدِّم الرجل الوقور عليها في الدخول): هذا والدي الحاج عبد السلام أفندي.

الدكتور (وهو يرمق البرنس الذي يفحص القادمين بوجوم): حصل لنا الشرف!

عبد السلام: وحضرتك ...؟

الدكتور: أنا؟ ... أنا لا أكذب على حاج مثلك! ... صاحب القصر هو حضرته ... (يشير إلى البرنس.)

عبد السلام: مفهوم.

الدكتور: أنا هنا مجرد صديق ... في ضيافته.

البرنس (وهو يفحص بنظره القادمَيْن، مستصغرًا شأنهما): أنتم جئتم للسكن في هذا القصر؟!

عبد السلام (بتواضُع): إذا سمحتَ ...

البرنس: هل عندكم خدم؟

كريمة: أنا التي أقوم بخدمة والدي، يساعدني خادم صغير؛ لقضاء الحاجات من الخارج.

البرنس: فقط؟!

كريمة: أهذا قليل؟

البرنس: أقصد ... أهذه كل الأسرة؟

عبد السلام: نعم ... هذه كل الأسرة الآن ... كنا منذ ثلاث سنوات أربعة نقطن معًا في مسكن واحد ... أنا وزوجتي، وابنتي وزوجها ... فتُوفي زوج ابنتي ... ثم تُوفيت أمها ... ولم يبقَ غيري أنا وبنتي.

البرنس: ومعكما خادم صغير!

كريمة: نعم.

البرنس: وتريدون أن تسكنوا أنتم الثلاثة هذا القصر الكبير؟!

عبد السلام: وأنت يا سيدي؟ ... هل معك أسرة كبيرة في هذا القصر الكبير؟

البرنس: ليس لي أسرة ... أنا هنا وحدي ...

كريمة: ولماذا إذن تستكثر علينا القصر أنا وأبي وخادمنا ... ونحن ثلاثة؟!

عبد السلام: لقد وعد الله تعالى في كتابه العزيز كل مؤمن بقصر في الجنة هو — ولا شك — أعظم وأفخم من قصرك هذا ...

البرنس: نعم ... ولكن قصور الجنة لن تحتاج إلى المسح والكنس!

عبد السلام: المهم ... هل أنت قابِلٌ يا سيدي؟

البرنس: الأمر متوقف عليكم أنتم ... هل أنتم قابِلون؟!

عبد السلام: بالطبع ... ولهذا جئنا.

البرنس: هل تعرفون الشروط؟

عبد السلام: الإعلان يقول «قصر للسكن بدون ثمن».

البرنس: أصدَّقتم ذلك؟

عبد السلام: إني لم أعتَدْ تكذيب الغير ... لأن سوء الظن إثم ... وحاشا الله أن أُقْدِم على ارتكاب إثم!

البرنس: هو حقًّا بدون ثمن ... ولكن ...

عبد السلام: إذا كنتَ قد حددتَ إيجارًا أو أردتَ مالًا فقل بصراحة ... إني مستور ولله الحمد!

البرنس: لا ... لا يوجد إيجار ... ولكن ...

عبد السلام: ولكن ماذا؟

البرنس: كل المسألة ...

الدكتور (بسرعة): اسمح لي أنا أُفهِمهم بكل اختصار ... القصر ملك أحد الأمراء ... أي بحكم القانون الآن لا يمكن بيعه أو استغلاله، بل هو مخصص فقط لسكنى الأمير ... وحيث إن الأمير مفلس ويستحق الإحسان ...!

البرنس (صائحًا): اخرس!

الدكتور (مستدركًا): أقصد ... يستحق الرعاية ... فكل المطلوب من الأسرة التي تسكن القصر — بدون ثمن طبعًا — هو أن تترك حجرة لسكن البرنس ... وأن تكفل له الأكل والشرب والخدمة وحق الدخان!

عبد السلام: هذا واجب ... وأقل من الواجب.

الدكتور: شرط آخر ...

البرنس (في قلق): نعم ... يوجد شرط آخر فيه شيء من ... من الدقة، ويحتاج إلى بعض ...

عبد السلام: تفضَّل ... اعرض الشرط بكل حرية.

البرنس (للدكتور)**:** قل لهم أنت هذا الشرط!

الدكتور: هذا الشرط هو أنه ... نظرًا لكوني صديق البرنس النازل في ضيافته؛ فالمطلوب هو معاملتي بمثل معاملته ... من حيث السكن والخدمة وخلافه!

البرنس (الذي لم يتوقَّع هذا الجواب يقول بغير ارتياح)**:** هذا ليس ...

عبد السلام (يقاطع بسرعة)**:** بل هذا أيضًا واجب ... وأقل من الواجب.

الدكتور (للبرنس بعتاب واحتجاج)**:** هذا ليس ماذا؟

البرنس: أقصد ليس بالشرط الخطير الذي يحتاج إلى توضيح خاص؛ لأنه مفهوم من نفسه!

الدكتور: لا يا سيدي البرنس — السابق — هذا شرط يجب أن يُنصَّ عليه قبل كل شيء!

عبد السلام: حصل خير ... حصل خير ... كل طلباتكم على العين والرأس.

البرنس: شكرًا يا ... يا حاج عبد السلام أفندي ... فقط ... أريد أن أسأل سؤالًا ...

عبد السلام: تفضل!

البرنس: أيمكن بسهولة خدمتنا وإجابة طلباتنا بهذا ... بهذا الخادم الصغير؟!

عبد السلام: ابنتي تجيب ... تكلمي يا كريمة!

كريمة: اطمئنَّ يا سيدي! ... لن ينقصك شيء ... ستجد حجرتك نظيفة ... وطعامك مُعَدًّا ... وملابسك مغسولة ومكويَّة ... وكذلك ضيفك ...

البرنس: ولكن القصر كبير!

كريمة: لي طريقتي في العناية به ... وإن كنا بالطبع لن نشغله كله ... إني أحب العمل ... ومعتادة عليه ... وكل وقتي كان مكرسًا لخدمة أسرتي يوم كانت أكبر عددًا ... سترى يا سيدي كيف سأعتني بالقصر وبساكنيه.

البرنس (وهو يتأملها)**:** أصدِّقك يا سيدتي.

كريمة: كل ما أرجوه هو أن تخبرني بألوان الطعام التي تحبها ... وبأوقات الفطور والغداء والشاي والعشاء التي اعتدتَ عليها.

البرنس: هذا جميل حقًّا!

عبد السلام: ستكون مرتاحًا ومسرورًا يا سيدي.

البرنس: إني واثق ... فقط ... أتسمح لي بسؤال آخر؟

عبد السلام: تفضَّل!

البرنس: أليس في ذلك عبء ثقيل على ميزانيتكم؟

عبد السلام: أبدًا ... لقد قلتُ لك إني رجل مستور — والحمد الله — معاشي الذي أتقاضاه بعد خدمة أربعين سنة في مصلحة السكة الحديد يبلغ حوالي ثلاثين جنيهًا شهريًّا ... وهذا ليس بالقليل ... أليس كذلك؟

البرنس: ثلاثين جنيهًا؟!

عبد السلام: في الشهر! ... ماذا تحسبنا إذن يا سيدي؟ ... نحن ملوك ... اسأل ابنتي كريمة ... هي التي تتسلم مني هذا المبلغ الكبير أول كل شهر ... تعطيني منه مصروفي، وتنفق الباقي على معيشتنا ... وتوفِّر منه أيضًا ... وأي معيشة التي نعيشها؟ ... معيشة ملوك! ... اللهم نحمدك يا رب.

البرنس: شيء عجيب!

عبد السلام: ستعيش معنا يا سيدي ... وسترى بعينيك!

البرنس: جائز ... كل شيء جائز هذه الأيام ... لكن ما هي الفكرة في تركِكُم سكَنَكُم؟ ... أولًا ... أين تسكنون؟

عبد السلام: في شبرا ... نسكن حي شبرا من زمن ... في شقة بعمارة قديمة، ولكنها نظيفة.

البرنس: ولماذا أردتم السكن في هذا القصر؟

عبد السلام: أنا الذي اقترحتُ ذلك على ابنتي كريمة ... إنها تحب الحديقة؛ فلما قرأت الإعلان، قلت لها: ها هو قصر لا بد أن تكون له حديقة ... فلا بد من أن أحقق لكِ حُلمكِ بالسكن في قصر بحديقة مرة قبل أن أموت!

البرنس: إنك تحب ابنتك كثيرًا!

عبد السلام: إنها تستحق كل حُب!

البرنس: نعم ... لأنها تستحق ... ليس كل البنات كذلك!

عبد السلام: هذا من فضل ربي أيضًا ... والآن يا سيدي اتفقنا على الشروط؟

البرنس (مترددًا): نعم ... ولكن ...

عبد السلام: تكلم بكل صراحة.

البرنس: يوجد شرط أخير ... إني غير واثق من قبوله ... اعرضه أنت يا دكتور!

الدكتور: لا ... لا شأن لي بهذا الشرط!

عبد السلام: أهو شيء لا نقدر عليه؟

البرنس: ربما تجدونه غير ...

عبد السلام: غير ميسور؟ ... إن الله الذي يسَّر لنا أمورنا، وقوَّانا على مصاعب حياتنا، لَقادر على تسهيل كل شيء ... تكلم يا سيدي ... نحن قادرون بمشيئة الله ... أقوياء بإذن الله ...

البرنس: الشرط الأخير هو تحديد صفة إقامتكم هنا ... بما أنكم لستم مستأجرين ... الصفة المقبولة هي أن تقولوا إنكم أقاربي.

عبد السلام: أقاربك؟!

البرنس: لا تؤاخذوني إذا ضايقكم هذا!

عبد السلام: يضايقنا أن تكون بيننا قرابة؟! ... ما وجه المضايقة في ذلك؟ ... لماذا تقول هذا يا سيدي؟!

البرنس: لستُ أدري ... ولكن ...

عبد السلام: هذه الصفة تسرُّنا ... أليس كذلك يا كريمة؟

كريمة: بالتأكيد يا أبي ... لا لأنه أمير سابق ... بل ...

عبد السلام: بل لأنه رجل طيب فيما أرى ... إنسان! ...

الدكتور: أليس عندكم مال تخشون عليه؟!

البرنس (بغضب واستياء)**:** اسكت أنت من فضلك!

الدكتور: الأمانة تقتضي أن نُبصِّرهم بالعواقب ... أقارب الأمراء يتعرضون لفحص مصدر أموالهم.

عبد السلام: قرأنا ذلك في الجرائد!

البرنس (للدكتور)**:** ها هو قد ردَّ عليك وأخجلك!

الدكتور: كان يجب توضيح الشرط ... الشرط نور ...

عبد السلام: تُشكر! ... وقد قبِلْنا الشرط ... يوجد شيء آخر؟

البرنس: لا ... هذا كل شيء.

عبد السلام: تم الاتفاق إذن؟

البرنس: منذ الساعة القصر تحت تصرُّفكم!

عبد السلام: وأنا منذ الساعة عمُّك ... ولك أن تناديني: عمك الحاج!

البرنس: عمي الحاج؟!

الدكتور (ينادي هو أيضًا): عمي الحاج!

البرنس (مشيرًا إلى كريمته): والست تبقى بنت عمي ... بنت عمي الحاج!

الدكتور (يردد هو كذلك): بنت عمي الحاج!

البرنس: أتدخل أنتَ أيضًا في الأسرة؟!

الدكتور: ولِمَ لا؟ ... أنسيتَ أنك طلبت مني منذ قليل أن أسبقك إلى ذلك؟

البرنس (يتركه ويلتفت إلى كريمة): اسمعي يا ... بنت عمي! ... أنتِ طبعًا المتصرِّفة هنا الآن ... على هذا الاعتبار ماذا ستطبخين لنا الليلة في العشاء؟

كريمة: اطلب!

الدكتور (يتدخَّل بسرعة): يطلب أي شيء ... أي شيء! ... المهم عندنا الآن هو أن يكون هناك عشاء!

الفصل الثالث

(عين منظر الفصل الثاني ... قصر البرنس فريد ... نفس البهو، ولكنه الآن يبدو وقد مرت عليه يد التنظيم والتنظيف ... وآنية الزهر الخاوية قد وُضِعَت فيها الأزهار نضرةً منسقةً ... لا يوجد بالبهو غير الحاج عبد السلام أفندي، وقد لبس ثياب المنزل وطاقية على رأسه، وتربَّع فوق أريكة يُسبِّح بمسبحة ... وجلس بجواره على مقعد مريح الدكتور حمودة بملابس الخارج ما عدا الجاكتة؛ أي بالقميص والبنطلون.)

الدكتور: أنتم — والله — آنستمونا وملأتم علينا القصر.

عبد السلام: شكرًا يا ابني ... هذا من لطفكم!

الدكتور: لعلك مرتاح — يا عمي الحاج — من الأيام القليلة التي قضيتَها هنا؟

عبد السلام: بوجودكم ... أنا مرتاح ما دامت مسبحتي في يدي ... وسجادة الصلاة بقربي ... وكريمة ابنتي مسرورة ... ماذا ينقصني بعد ذلك؟ ... «ساعة البهو تدق دقة النصف» ما هذا؟ ... قربنا على أذان المغرب؟

الدكتور: لا ... إنها تدق النصف بعد الرابعة!

عبد السلام (يُخرِج ساعة من جيب صدره، وهي معلقة فيه بسلسلة فضية)**:** صدقت! ... ما يزال على صلاة المغرب وقت طويل.

الدكتور: نحن الآن مقبلون على ساعة الشاي.

عبد السلام: على فكرة يا ابني ... أين البرنس؟

الدكتور: في المطبخ!

عبد السلام: ماذا يصنع في المطبخ؟!

الدكتور: أظن أن بنت عمنا الست كريمة نزلت الحديقة تجمع بعض الأزهار؛ لوضعها على المائدة بمناسبة الشاي اليوم، وتركت البرنس أمام النار يراقب غلْي اللبن!

عبد السلام: إنه — والله — مؤدب ونشيط.

الدكتور: بالعكس ... لم يظهر أدبه ونشاطه إلا في هذه الأيام!

عبد السلام: لعله لم يكن معتادًا.

الدكتور: حقًّا ... ولكنه قد تعود الآن ... وأصبح يؤدي أعمالًا لم يكن يخطر على باله أنه سيؤديها يومًا ... الملوخية التي أكلناها اليوم في الغداء هو الذي قطفها ... والبصل هو الذي خرَّطه ... والثوم هو الذي فصَّصه!

عبد السلام: ما شاء الله! ... همة عظيمة!

الدكتور: كلما تذكرت هذه اليد التي ما كانت تعرف — فيما مضى — غير الضغط على زر الجرس، ولبس القفاز، ورائحة العطور ...

عبد السلام: أخشى أن يكون مستاءً أو متورطًا.

الدكتور: بل إنه يفعل ذلك مغتبطًا ... ويلحُّ على الست كريمة في أن تُكلِّفه بخدمة!

عبد السلام: هو إذن يريد أن يتسلى بالعمل ويشغل وقته ... ليس أشق يا ابني من البطالة!

الدكتور: لا أظن البطالة هي السبب!

عبد السلام: بل هي البلاء الأكبر ... وسلْني أنا ... إن البطالة هي المرض الذي يهدم كيان الإنسان ... جسمًا وروحًا ... إني منذ تقاعدتُ وأنا أرى الغد كأنه قبر فاتحٌ فمه ليتلقفني ... لقد بدأتُ حياتي قرَّاض تَذاكِر، وتركتُ الخدمة وأنا ناظر محطة ... ما من يوم توعَّكتُ أو أخذتُ إجازة مَرَضية ... كنتُ أسير بصحَّتي كالقطار نفسه ... وكانت أيامي تجري كأعمدة التلغراف ... التي تمر أمامي من نافذة القطار السريع ... متشابهة حقًّا، ولكنها غير مملة ... أما الآن فأيامي جامدة هامدة؛ لأني أصبحت كالقطار القديم الذي تركوه ليأكله الصدأ.

الدكتور: نعم ... الصدأ ... لعنة الله عليه! ... أنا أيضًا منذ فرغتُ من تحضير رسالتي الجامعية أشعر كأن الصدأ يكاد يأكل ما كان في رأسي من نحو!

عبد السلام: الصدأ في مثل سنك هذه وأنت في مقتبل العمر؟! ... حذار!

الدكتور: ماذا أصنع؟

عبد السلام: لا ... لا تترك ما في رأسك من علم طعامًا للصدأ ... كنتَ تُحدثني البارحة عن ذلك العالِم النحوي الذي وضع كتابًا في معاني القرآن ...

الدكتور: نعم ... هذا العالِم هو أحد «معاصري» سيبويه واسمه «الفَرَّاء».

عبد السلام: حدِّثني عن كتابه هذا ... حدِّثني!

الدكتور: كان الفرَّاء — فضلًا عن تمكُّنه من علوم اللغة — مُلمًّا بكثير من العلوم التي ...

(تظهر كريمة تحمل آنية بها أزهار ... وخلفها البرنس يحمل صينية عليها فناجين شاي فارغة ... ويتجهان بحملهما إلى المائدة.)

البرنس (ملتفتًا إلى الدكتور)**:** شيء جميل! ... جالس تتكلم في علومك إياها ... وتتركنا للعمل في المطبخ وخارج المطبخ في مثل هذا اليوم الذي سيحضر فيه ضيوف لتناوُل الشاي؟!

الدكتور: البركة فيك!

كريمة (للبرنس)**:** أخشى — يا سُمو البرنس — أن أكون قد أتعبتُك أكثر من اللازم من أجل ضيوفنا.

البرنس: اسمعي يا ست كريمة! ... أولًا: التعب من أجلكم ومن أجل ضيوفكم راحة وسرور ... ثانيًا: لقب «سمو البرنس» الذي تناديني به من وقت لآخر لا محل له بالمرة!

الدكتور: خصوصًا بعد تخريط سموِّه للبصل، وتفصيصه للثوم!

البرنس (للدكتور)**:** اسكت أنت من فضلك! ... لا تحشر نفسك!

الدكتور: صدقتَ ... الداخل بين البصلة وقشرتها!

البرنس: ماذا تقصد؟

الدكتور: لا شيء على الإطلاق ... كل ما في الأمر أن القافية تحكُم!

البرنس: القافية ... أهذا وقت القافية؟ ... أليس أحسن من ذلك أن تقوم قليلًا وتساعدنا؟!

كريمة: دعه مستريحًا ... ليس من حاجة تدعو إلى أن نُتعِبه ...

البرنس: ولكني أريد أن أراه يعمل شيئًا في هذا المنزل.

الدكتور: وهل أنا لا أعمل شيئًا؟! ... اسأل عمي الحاج ...

عبد السلام: حقًّا ... الدكتور لا يترك فرصة إلا ويفيدني بعلمه!

الدكتور: قل له يا عمي الحاج ... قل له ... قل له.

عبد السلام: الحقيقة أنا أشهد — والشهادة لله — الدكتور بحر في العلم.

البرنس: بحر! ... طبعًا ... أعرف مسألة البحر هذه جيدًا ... ذلك موضوع قديم ... نحن الآن نبدأ حياة جديدة تحتاج إلى نشاط ... أنا الآن بدأت أحب العمل ... والفضل في ذلك لبنت عمِّنا ... كلما رأيتها تعمل في البيت من طلوع الشمس؛ تحركت في نفسي الرغبة أن أفعل مثلها ... وهأنذا أعمل على قدر جهدي ... إني حديث عهد ... كل أملي أن تكون هي راضية عن عملي.

كريمة (باسمةً)**:** كل الرضا!

البرنس: أشكركِ من كل قلبي.

الدكتور (ينظر إليهما مليًّا)**:** شيء لطيف!

البرنس (يلتفت إليه فجأةً)**:** ما هو؟

الدكتور: موقفي!

البرنس: ماذا تقصد؟

الدكتور: لا شيء ... فقط يجب — على ما أظن — أن أساعدكم ... هل أمسك بالمكنسة؟

البرنس: لا يا سيدي ... كل شيء نظيف ... المطلوب منك فقط الآن أن تسكت!

الدكتور: طبعًا كل شيء نظيف؛ بفضل الست كريمة ... هذا لا شك فيه ... ولكن ... هل يجب أن أقف هكذا أنظر وأشاهد وأتفرج؟

البرنس: ماذا تريد أن نصنع لك؟

الدكتور: إني أسألك ... ماذا تسمي هذا الموقف؟

البرنس: شيء بارد!

الدكتور: بل — على الأصح — شيء مُخجل!

البرنس: أنت حر!

الدكتور: أظنُّ لم يبقَ لي غير السكوت كما نصحتَني ... وهو عين الحكمة.

البرنس: حان الوقت لأن تنهض وتُكمل لبسك ... وأنا أيضًا ... لنستعدَّ للخروج.

كريمة: الخروج؟!

البرنس: طبعًا ... لنترككم مع ضيوفكم.

عبد السلام: ما هذا الكلام؟! ... تتركونا مع ضيوفنا؟! ... أهذا يصح أن يُقال؟

كريمة: أليس ضيوفنا هم ضيوفكم؟

عبد السلام: قولي لهم يا كريمة! ... ألسنا أسرة واحدة؟ ... ألم يكن هذا هو الاتفاق؟

كريمة: لن نسمح لكم بالخروج ... ستبقون معنا، ونتناول معًا جميعًا الشاي.

البرنس: أمرك ...

الدكتور: ما دام الأمر قد صدر؛ فلألبس على الأقل.
كريمة: لا يا دكتور ... لا تلبس أكثر من ذلك ... هذا يكفي ... أنت في منزلك.
البرنس: وأنا ...؟
كريمة: وأنت أيضًا على ما يرام هكذا ... بالقميص والبنطلون.
عبد السلام (وهو ينهض)**:** أما أنا يا بنتي فلا بد أن أضع فوق الجلباب ...
كريمة: نعم ... روبك نعم ... روبك ... الروب الذي صنعتُه لك أخيرًا.
عبد السلام: بل أُفضِّل عباءتي الخفيفة «الألاجه».
كريمة: أعلم أنك تفضِّلها دائمًا ... لا بأس ... فليكن ... وأنا أيضًا أحتاج إلى أن أرتب هندامي قليلًا ... عن إذنكم.

(تخرج كريمة ومعها والدها الحاج عبد السلام ... ويبقى في البهو البرنس والدكتور وحدهما.)

البرنس (بعد تردُّد)**:** أنت صديقي ... وتعلم أني صديقك ... أليس كذلك؟
الدكتور: هذه مسألة فيها نظر!
البرنس: أعندكَ شك؟
الدكتور: أجبني أولًا: هل سبق لك أن عرفتَ الصداقة؟ ... هل سبق أن كان لك أصدقاء؟
البرنس: بالطبع ... ولكن ...
الدكتور: أين هم الآن؟
البرنس: هناك ... في نادي السيارات!
الدكتور: أفهم أنك لا تستطيع أن تذهب إليهم الآن ... ولكن لماذا لا يأتون هم؛ ليسألوا عنك؟
البرنس: ولماذا يسألون عني الآن؟
الدكتور: كانوا إذن أصدقاء البرنس! ...
البرنس: بالضبط!
الدكتور: ولَّما ذهب اللقب ذهبوا!
البرنس: بالضبط!
الدكتور: أتُسمِّي هؤلاء أصدقاء؟

البرنس: صدقت! ... لا يجب أن يُسمَّوا كذلك ... ولكن هذا كل ما يستطيع أن يحصل عليه صاحب السمو وصاحب الجلالة ... وأنا الآن قد تجرَّدت من لقب السمو، وأصبحت رجلًا كبقية الناس، أليس من حقي إذن أن أحصل على صديق؟

الدكتور: وماذا تصنع بالصديق؟ ... تقترض منه نقودًا؟

البرنس: لا يا سيدي الفاضل ... أنت تعلم أني لا أحب أن أقترض من أحد ... ولا أن يتصدَّق عليَّ أحد ... إني أريد الآن الصديق لأكشف له عما في نفسي!

الدكتور: عمَّا في نفسك؟ ... وماذا يمكن أن يوجد في نفسك؟

البرنس (مترددًا)**:** شعور!

الدكتور: أنت؟!

البرنس: لا تهزأ بي من فضلك!

الدكتور: لن أهزأ بك ... تكلم.

البرنس: شعور خاص ... نحو شخص معين ...

الدكتور: شخص معين ... موجود؟

البرنس: نعم ... هنا.

الدكتور: وهذا الشعور الخاص ... من أي نوع؟

البرنس: عطف ... ومودة ... وحنان ...

الدكتور: بدون لف ودوران: حب وعشق وغرام!

البرنس: شيء من هذا القبيل!

الدكتور: أظن أنا فاهم ... وأنت فاهم أني فاهم.

البرنس: لاحظت ذلك من نظراتك وتلميحاتك.

الدكتور: بالاختصار أنت تحب كريمة ...

البرنس: نعم ... بنت عمي كريمة.

الدكتور: بنت عمك؟!

البرنس: أقصد ...

الدكتور: عارف قصدك ... اسمع الكلام المفيد ... يظهر أن غرضك قطع عيشنا، وضياع اللقمة اللينة من فمنا ... الحاج عبد السلام رجل جد ومُتديِّن ... وإذا لمح منك شيئًا من هذا القبيل فإن النتيجة معروفة مقدمًا ... وأنا أُحذِّرك وأنفض يدي ... وقد أعذر من أنذر.

البرنس: لحظة واحدة ... أنت أسأتَ فهمي ... الموضوع شريف ... أنا قصدي الحلال.

الدكتور: الحلال؟!

البرنس: طبعًا ... وأنا عزمت أطلب يدها.

الدكتور: تتزوجها؟

البرنس: وما المانع؟

الدكتور: هل أنت واثق من شعورها هي نحوك؟

البرنس: أظن أنها لا تكرهني! ...

الدكتور: هذا لا يكفي ... لا بد من وجود عاطفة متبادلة.

البرنس: متبادلة؟ ... أرجوك لا تُعقِّد المسائل!

الدكتور: على الأقل يجب أن يكون عندها شيء من العاطفة بالنسبة إليك ...

البرنس: أعتقد أنه ليس لديها سبب لرفض طلبي!

الدكتور: فليكن! ... هذا من جهتها ... فلنبحث الموضوع من جهة والدها.

البرنس: والدها؟

الدكتور: بالطبع ... أتريد أن تتزوجها بدون إرادة والدها؟ ... إن مثلها لا تقبل زواجًا إلا برأي والدها ورضاه.

البرنس: هذا — على كل حال — أسهل ... إذا كان الأمر متعلقًا برأي والدها فإني متأكد أنه يُرحِّب.

الدكتور: يرحِّب بمثلك؟!

البرنس: ولِمَ لا؟

الدكتور: عشم إبليس في الجنة!

البرنس: ماذا تقول؟!

الدكتور: أقول إنك واهم! ...

البرنس: واهم؟! ... أنا؟ ... أنسيت يا سيدي مَن أنا؟ ... أيرفض عبد السلام أفندي هذا مصاهرتي أنا؟ ... ألستُ خيرًا من زوج بنته المتوفَّى؟ ... هل تعرف بمن كانت متزوجة؟ ... كان المرحوم زوج كريمة — كما قالت لي — معاون محطة كوبري الليمون ... ألستُ في نظر الحاج عبد السلام أحسن — على الأقل — من معاون محطة كوبري الليمون؟ ... أنسِيَ مَن كنتُ؟ أنَسِيَ مَن أنا؟

الدكتور: أنت الذي لا تريد أن تنسى ذلك — مع الأسف الشديد — وتريد بعد ذلك أن يكون لك أصدقاء من النوع الحقيقي ... لقد تجردتَ من لقبك ... ولكنك لم تتجرد بعدُ من ...

البرنس (يثوب ويتنبَّه): لا تؤاخذني ... إنك استثرتني!

الدكتور: من يريد أن يتزوج كريمة يجب أن يحس أنه من طينة مثل طينتها ...

البرنس: وهذا اعتقادي.

الدكتور: كلامك الآن لا يدل على ذلك!

البرنس: كلام غضب، لا يمثل إحساسي الحقيقي.

الدكتور: اسمح لي أشك قليلًا!

البرنس: شُكَّ كما تريد ... أنا أدرى بما في نفسي.

الدكتور: ومن أدرانا أنك لا تخدع نفسك؟

البرنس: وأنا ماذا أفعل لأغير رأيك؟ ... إنك لا تريد أن تقتنع بأني منذ جاءت كريمة إلى هذا البيت وعاشت هنا، وأنا أحس أني تغيرت ... وأصبحت رجلًا جديدًا ... أنا — على كل حال — لا أطلب منك أن تصدقني ... ولكني أطلب منك أن تساعدني.

الدكتور: أساعدك؟

البرنس: بحقِّ الصداقة التي بين رجل ورجل ...

الدكتور: تقصد بين مفلس ومفلس!

البرنس: بالضبط.

الدكتور: أنا مستعدٌّ لمساعدتك ... ولكن كيف؟

البرنس: أولًا دبِّرني وانصحني وأشِرْ عليَّ ... ماذا أصنع لأحقق هذا الأمر؟ ... هل ترى أن أفاتح الحاج عبد السلام في الموضوع؟ ... وإذا فاتحته، فماذا تظن أن يكون رده؟ ... افرض أنك في مكانه ...

الدكتور: في مكانه؟

البرنس: نعم ... ضع نفسك الآن موضعه ... أنت عمي الحاج ... وأنا أتقدم إليك!

الدكتور: انتظر ... أليس هنا مِسبَحة أضعها في يدي؟!

البرنس: لا داعي لهذه التفاصيل ... دعني أجرب ماذا سأقول ... وأنت أجبني كما لو كنتَ الحاج!

الدكتور (يتنحنح مقلدًا حركات الحاج عبد السلام): تفضل يا ابني ... ماذا تريد أن تقول؟

البرنس: أريد — يا عمي الحاج — أن أقول لك بسرعة وبدون مقدمات ... إننا بالطبع أصبحنا عائلة واحدة ... زيتنا في دقيقنا!

الدكتور: وأين هو الزيت؟ ... وأين هو الدقيق؟

البرنس: أنا الزيت، وبنت عمي كريمة الدقيق!

الدكتور: مفهوم.

البرنس: وطبعًا توافق ...

الدكتور (يتنحنح): هذا يتوقف على نوع الزيت ... لا بد أن نعرف أولًا هل هو زيت طيب، أو زيت وسخ؟!

البرنس: وسخ؟! ... اخرس!

الدكتور: أتقول اخرس لعمك الحاج؟!

البرنس: بل أقولها لحضرتك ... الحاج رجل مؤدب وألفاظه مهذبة ... تكلم مثله بجد من فضلك ... نحن الآن في موقف جد ... سألتُ بأدب ... أجبني بأدب ...

الدكتور: تريد أن تتزوج كريمة؟

البرنس: إذا سمحتَ.

الدكتور: تعرف طبعًا تكاليف الزوجية ... لا بد طبعًا من أن تفكر في ذلك قبل الإقدام على الزواج ... لأن الزوج هو الذي يتولى الإنفاق على زوجته ... ويكفل لها ضرورات المعيشة من طعام ومسكن وكسوة ونزهة ... وخلافه ... وأنت ... هل تستطيع الإنفاق على زوجتك؟

البرنس: لحظة واحدة!

الدكتور: ما هي صنعتك؟

البرنس: اسمح لي ...

الدكتور: ما هو كسبك؟

البرنس: شيء بارد!

الدكتور: ماذا تقول لعمك الحاج؟

البرنس: عمي الحاج لا يسأل هذه الأسئلة السخيفة ... عمي الحاج رجل نبيل ... لا يلتفت إلى الماديات ... إنه يُقدِّر العواطف!

الدكتور: وهو أيضًا والد مسئول ... يُقدِّر مستقبل بنته.

البرنس: مستقبل البنت هو أن تتزوج.

الدكتور: نعم ... نتزوج ... ولكن ممن له عمل!

البرنس: الزواج أولًا ... والعمل يأتي فيما بعد!

الدكتور: بل العكس هو المنطقي: ابحث عن العمل أولًا ... فإذا أصبح في يدك فابحث عن الزواج بعد ذلك.

البرنس: هذا كلام رجل أحمق ... قليل العقل ... ثقيل الظل ... مُتزمِّت مُتعنِّت ... لا يريد أن يجمع رأسين في الحلال!

الدكتور (صائحًا في لهجة تمثيلية)**:** أتصِفُ عمك الحاج عبد السلام بأنه قليل العقل، ثقيل الظل، مُتزمِّت مُتعنِّت؟!

(يدخل الحاج عبد السلام، وقد ارتدى العباءة وهو يتمتم تلاوته، ويفرك مِسبحته.)

البرنس (بسرعة للدكتور)**:** هس ... اسكت! ... (همسًا) يا للمصيبة!

عبد السلام (ينظر إليهما وقد لزما الصمت فجأة)**:** يظهر أني قطعتُ الحديث!

الدكتور: لا ... مطلقًا... الحديث مستمر ... لأنه في موضوع عائلي يهمك بالذات يا عمي الحاج.

عبد السلام: يهمني؟

البرنس (همسًا للدكتور)**:** أنت مجنون؟

الدكتور (لا يلتفت إلى البرنس، ويواصل كلامه)**:** الست كريمة — بما لها من صفات عالية، وأخلاق سامية، وتهذيب وتدبير — لا بد أن تكون موضع أمل كل رجل يفهم قيمة المرأة المؤدبة المدبِّرة المطيعة النشيطة ... (للبرنس) أليس كذلك يا صديقي؟

البرنس (وهو مطرق في حَرَج)**:** بدون شك.

الدكتور: طبيعي إذن — يا عم الحاج — أن يوجد الآن رجل يريد مصاهرتك ...

عبد السلام: يريد كريمة؟

الدكتور: نعم ... وبسرعة وبدون مقدمات أقول لك إن هذا الرجل هو صديقي هذا.

عبد السلام (بدهشة)**:** البرنس؟!

الدكتور: لقد أدَّيتُ مُهمَّتي ... وقمتُ بواجب المساعدة ... وتركتُ الجمل للجمال ... وانتهت مأموريتي، ونفضتُ يدي.

البرنس (في مأزق يتمتم مُتلعثمًا)**:** في الحقيقة ... أنا ...

عبد السلام: هذه مفاجأة لم أكن مستعدًّا لها.

البرنس: أنا — على كل حال — متقدِّم بهذا الطلب ... وأرجو من عمي الحاج ...

عبد السلام: تريد موافقتي؟

البرنس: أكون سعيدًا.

عبد السلام (يُفكِّر لحظة): هل فاتحتَ كريمة في هذا الموضوع؟

البرنس: لا ... بالطبع.

عبد السلام: اسمع يا ابني ... أنا شيخ فرغ من الدنيا ... وكريمة ليست صغيرة ولا غريرة ... بل امرأة ناضجة السن، راجحة العقل ... جرَّبَت الدنيا، وعركَت الحياة ... وهي المتصرفة في شئونها وشئوني ... وأنا — كما ترى وتعلم — قد تركتُ لها تدبير كل شيء يخصني ... فنقودي في يدها ... وأموري هي التي تتولاها ... فمن باب أولى شئونها هي وأمورها ... خصوصًا هذا الموضوع ... فإذا سمعت كلامي فإني أقول لك: هذه مسألة هي وحدها التي تستطيع أن تقطع فيها برأي.

البرنس: وإذا وافقَتْ هي؟

عبد السلام: يكون الأمر قد تمَّ على خيرة الله.

البرنس: وموافقتك يا عمي؟

عبد السلام: تُعتبر قد تمَّت بمجرد موافقتها هي ... لأنها هي صاحبة الأمر في نفسها.

البرنس (وهو يتلفَّت بعينيه باحثًا): شكرًا جزيلًا.

الدكتور (وقد فهم معنى بحث البرنس): إنها في المطبخ!

البرنس (همسًا للدكتور وهو يهمُّ بالخروج): كيف عرفتَ؟

الدكتور (همسًا): لمحتُها الآن متجهةً إليه ... بعد أن تزيَّنت ... لعلها تريد أن تُلقي نظرة أخيرة على معدات الشاي ... اذهب إليها بسرعة قبل أن يبرد.

البرنس: الشاي؟!

الدكتور: الموقف!

(البرنس يخرج مهرولًا في اتجاه المطبخ.)

عبد السلام (وقد تربَّع فوق الأريكة): قل لي يا دكتور ... أريد أن أسألك سؤالًا دقيقًا.

الدكتور: أقول لك الصراحة — أنا لا يصح أن أكذب عليك — أنا لا أعرف!

عبد السلام: بل تعرف ... ومَن يعرف ذلك غيرك أنت؟!

الدكتور: ثِقْ أني على الحياد.

عبد السلام: ها أنت بحُسن فطنتك قد أدركتَ سؤالي ... أنا لا أريد أن تنحاز إلى أحد الطرفين ... ولكني أريد رأيك فيهما.

الدكتور: معرفتي بهما ليست ...
عبد السلام: لا تتواضع! ... لقد كنتَ تُحدثنى عنهما البارحة حديثًا مستفيضًا!
الدكتور: ماذا قلتُ عنهما؟!
عبد السلام: قلتَ إنك تُعجب بأحدهما إعجابًا لا حدَّ له!
الدكتور: أنا قلتُ ذلك؟!
عبد السلام: أتكون ذاكرتك أضعف من ذاكرتي؟!
الدكتور: أنا قلتُ إني مُعجَب؟ ... ربما كان البرنس هو الذي قال ذلك!
عبد السلام: بل أنت ...
الدكتور: أنا؟ ... قلتُ إني مُعجَب بأحدهما؟
عبد السلام: إعجابًا لا حدَّ له ... هذه عبارتك!
الدكتور: شيء غريب! ... مُعجَب بأحدهما؟ ... أنا؟!
عبد السلام: وقد وصفتَ لي مزايا كل منهما وصفاته ومحاسنه وصفًا دقيقًا ... بارعًا ... رائعًا!
الدكتور: وماذا قلتُ عن صفات البرنس؟!
عبد السلام: وما دخْل البرنس هنا؟
الدكتور: أليس هو أحدهما؟
عبد السلام: أتمزح في العلم يا دكتور؟! ... أحدهما سيبويه، والآخر الفرَّاء!
الدكتور: آه ... قصدك سيبويه والفراء!
عبد السلام: نعم ... قلتَ إن سيبويه ...
الدكتور: اليوم سأحدثك عن نفطويه!
عبد السلام: ومن هو نفطويه؟
الدكتور: هو ذلك الذي قال فيه ابن دريد:

لو أُوحِيَ النحو إلى نفطويه
ما كان هذا العلم يُعزى إليه
أحرقه الله بنصف اسمه
وصيَّر الباقي صياحًا عليه.

عبد السلام: شيء لطيف! ... نفطويه ... أحرقه الله بنصف اسمه أي «نفط» ... وصيَّر الباقي أي «ويه» صياحًا عليه!

الدكتور: هذا نوع يسمى الاشتقاق ... استخرجه الإمام أبو هلال العسكرى، وذكره في آخر أنواع البديع من كتابه المعروف بالصناعتين ... وعرَّفه بأن قال: هو أن يشتق المتكلم من الاسم معنى في غرض يقصده، من مدح أو هجاء.

عبد السلام: هذا حقًّا نوع بديع في علم البديع.

الدكتور: عبارتك هذه تسمى في هذا العلم «التطريز».

عبد السلام: التطريز؟

الدكتور: نعم ... وهو نوع يبتدئ فيه المتكلم بذكر جمل غير منفصلة ... ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قرَّره وقدَّره في تلك الجملة الأولى ... كقول ابن الرومي:

قُرونٌ في رُءوسٍ في وُجوهٍ صِلابٌ في صِلابٍ في صِلابِ

عبد السلام: قُرون!

الدكتور (وهو يشير بإصبعه نحو رأسه علامة القرون)**:** نعم ... قرون ... قرون ... ألا تعرف القرون؟

عبد السلام: هذا طبعًا معروف.

الدكتور: الحمد الله! ... قرون في رءوس في وجوه ... هذا شيء مفهوم ...

عبد السلام: مفهوم ... ولكن هذا شِعر غير ...

الدكتور: غير لطيف ... أنا معك ... إليك مثلًا آخر ربما كان ألطف:

كأنَّ الكأس في يدها وفِيها عقيقٌ في عقيقٍ في عقيقِ

عبد السلام: حقًّا ... هذا شِعر لطيف ... يعني أن الكأس ويدها وفمها عقيق في عقيق في عقيق ... آه ... ذكَّرتني بأيام الشباب!

الدكتور: أيام شبابك يا عمي الحاج ... لا بد أنه كانت لك فيها لحظات أُنْس.

عبد السلام: ليس إلى هذا الحد ... كنتُ شابًّا معتدلًا ... لأني أضطررت إلى العمل وكسب القوت مبكرًا؛ لأعول والديَّ المريضين الفقيرين ... ولكني كنتُ — على كل حال — شابًّا كبقية الشبان في عصري ...

الدكتور: طبعًا ... لا شك أنك عرفتَ الحُب

عبد السلام: دعنا من أيامنا الآن يا ابني ... نحن الآن في أيامكم أنتم ... أنت الذي عليك أن تحدثني.

الدكتور: أُحدِّثك عن ماذا؟ ... عن الحب؟ ... نعم ... كان يجب أن ... أعرفه ... بل لعله موجود ... لعل البذور قد أُلقيت ... ولكن أين المطر؟

عبد السلام: المطر؟!

الدكتور: زماننا غير زمانكم! ... لدينا مشكلات كالصخور ... هل تنبت تحت الصخور بذور؟!

عبد السلام: إنك تتكلم بالألغاز!

الدكتور: على ذكر الألغاز ... في علم اللغة — أقصد علم البديع — نوع يسمى المحاجاة والتعمية ... وهو أن يأتي المتكلم بعدة ألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ... ويأتي بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه، كما قال علماء هذا الفن ... وإليك قول أحد الشعراء في وصف كوز:

وذي أذن بلا سمعٍ له قلبٌ بلا قلبِ!

(يقول ذلك وهو يتناول فنجان شاي من فوق المائدة، ويمسك بأذن الفنجان ويشرح بحركة يده معنى الشعر.)

إذا استولى على حب فقل ما شئت في الصبِّ

عبد السلام: شيء ظريف!

الدكتور: أظرف من ذلك ما قيل في وصف القلم ... افرض إصبعي قلمًا ...

(يُمثِّل بإصبعه حركة الكتابة في انحناء القلم ... وفي نثر الحبر من طرفه ... وفي حركة بريه.)

وذي خضوع راكع ساجد ودمعه من جفنه جاري
مواظبُ الخمس لأوقاتها منقطعٌ في خدمة الباري

عبد السلام (يضحك وهو يُمثِّل بإصبعه حركة بري القلم): في خدمة الباري ... حقًّا ظريف ... ظريف! ... أنت بحر في العلم يا دكتور! ... ألم أقُل إنك بحر؟!

(جرس الباب الكبير يرن.)

الدكتور: الباب ...
عبد السلام: ربما كانوا هم ...
الدكتور (وهو يتحرك نحو الباب): الضيوف؟

(الدكتور يفتح الباب، فتظهر جيهان، وخلفها أختها مرفت، وزوجها سالم.)

جيهان (وهي داخلة): الدكتور! ... أنت هنا؟
الدكتور (مُفاجأً): الآنسة جيهان؟!
مرفت (وهي تدخل): كيف حالك يا دكتور؟!
سالم (داخلًا): مساء الخير يا دكتور!
الدكتور (بسرعة وارتباك): شرَّفتم ... طبعًا من أجل ... البرنس ... إنه ... إنه ... إنه ...
عبد السلام (يهمُّ باستقبالهم): أهلًا وسهلًا! ... أهلًا وسهلًا!
الدكتور (لعبد السلام هامسًا): إنهم ضيوف البرنس.
عبد السلام: بل ضيوفنا!
سالم (يُقبِّل يد الحاج عبد السلام): كيف حالك يا والدي العزيز؟!
عبد السلام: بخير يا ابني! ... وأنت؟ ...
مرفت (وهي تُقبِّل الحاج): مسرور هنا يا بابا؟
عبد السلام: كل السرور يا ابنتي! (يُقبِّلها.)
جيهان (وهي بدورها تُقبِّل عبد السلام): لو تعلم يا بابا كم كنتُ مشتاقةً إليك! ... أين أختنا كريمة؟
الدكتور (ينظر إلى هذا المنظر العائلي بدهشة، ثم يسرع إلى ناحية المطبخ دون أن يخرج من البهو، ويصفر بفمه طويلًا، ثم ينادي): الضيوف!

(تظهر كريمة مسرعةً، وخلفها البرنس ... ولا تكاد كريمة ترى الحاضرين حتى تعانق مرفت وجيهان، وتُسلِّم على سالم بحرارة وعدم كلفة.)

البرنس (يقف مستغربًا): ما هذه المفاجأة؟ ... يظهر أن بينكم معرفة وثيقة؟!

مرفت: نحن — يا بابا — أقارب!

البرنس: أقارب؟ ... أنتم أيضًا؟! ... قديمة ... العبوا غيرها!

جيهان: بل هذا صحيح يا بابا ... اسأل بابا الحاج!

عبد السلام (للبرنس): هذا ابني سالم ...

البرنس (مأخوذًا): ابنك؟!

كريمة: وشقيقي الوحيد.

البرنس (ملتفتًا إلى كريمة): هو إذن شقيقك؟!

كريمة (للبرنس): ما كنتَ تتوقع أن تراه بهذه السرعة؟

البرنس: ولماذا لم تُخبريني منذ لحظة بأنه هو الذي سيحضر للشاي؟

كريمة: أردتُ أن أجعلها مفاجأة!

البرنس: إنها بالفعل مفاجأة لي! ... مفاجأة سارَّة ... إني سعيد يا سالم بك ... حقًّا إني سعيد بأن نجتمع هذا الاجتماع العائلي.

سالم: وأنا أيضًا سعيد.

البرنس: نحن إذن أقارب حقيقةً! ... وكنا أقارب دون أن نعلم ... يا لعجائب المصادفات! ... عم الحاج عبد السلام هو والد زوج بنتي ... والست كريمة هي أخت زوج بنتي ... يا لمحاسن الصُّدَف!

مرفت: أحقًّا أنت مسرور بلقائنا اليوم يا بابا؟

البرنس: كل السرور يا مرفت ... كل السرور ... ألا يظهر هذا على وجهي؟ ... ألا تقرئين على وجهي السعادة؟ ... يدهشني أنك لم تُقبِّلي أباكِ حتى الآن ... لا أنتِ ولا أختكِ جيهان ... ألم تشعرا نحوي بشَوق ... كما أشعر الآن نحوكما؟

مرفت (وهي تجري وتتعلق بعنقه): ما كان يخطر على بالنا أنك ستستقبلنا بهذا الفرح؟!

جيهان (وهي تعانقه): إني لا أكاد أصدِّق عيني وأذني!

البرنس: إني آسف على الأيام التي مرَّت ونحن بعيدون بعضنا عن بعض ... هذه العائلة الجميلة ... لماذا كانت مشتتة؟ ... لماذا كان بعضها يجهل وجود بعض؟

مرفت (في دهشة): إنك قد تغيرتَ كثيرًا يا أبي!

البرنس: أتلاحظين ذلك؟

جيهان: بالتأكيد يا بابا ... أنت الآن رجل آخر.

البرنس (يلتفت إلى الدكتور)**:** سامع؟!

جيهان: وهل الدكتور عنده شك في ذلك؟

الدكتور: يا آنسة ... المسألة لها أصل ...

البرنس (للدكتور بسرعة)**:** اسكت من فضلك ... لا تتدخل بين العائلات ... هؤلاء جميعًا الآن أقاربي بحق وحقيق.

الدكتور: وأنا وحدي الآن المزيَّف!

عبد السلام: بالعكس يا دكتور ... أنت الخير والبركة ... ووجودك كله فوايد ... وكلامك كله دُرَر ... لأنك في العِلم بحر ... بحر.

جيهان (تقترب من الدكتور)**:** على فكرة ... النيل ... مشروع النيل الذي تكلمنا عنه ... نسيتَه؟

الدكتور: النيل؟!

جيهان: نعم ... مشروع استخراج الأسماك من النيل بالكهرباء ... متذكر حديثنا في ذلك المساء؟!

الدكتور: آه ... صحيح ... الكهرباء.

جيهان: منذ ذلك اليوم وأنا أفكر في ذلك ... وقد خطرت لي أفكار جديدة للانتفاع بهذا النهر العظيم ... هنا موضع على الشط المقابل يمكن استغلاله ... أتدري كيف؟ ... يجب أن تعاين الموقع أولًا.

الدكتور: إن شاء الله!

جيهان (تقوده من يده إلى الباب الكبير)**:** تستطيع أن تراه من هنا؛ إنه يبدو واضحًا بالقرب من سور الحديقة الشرقي ... تعالَ معي لحظة!

(يخرجان.)

البرنس: أهي مهتمَّة إلى هذا الحد بالمشروعات الصناعية؟

مرفت: هذا ما يُخيَّل إليها.

سالم: إنها — على كل حال — في سن الاهتمام بأي مشروع ...

البرنس: كان يجب أن نُفهمها أن صاحبنا الدكتور هو آخر من يهتم بهذه المسائل!

مرفت: وكيف تحكم بذلك يا بابا؟

البرنس: أنا أعرفه تمام المعرفة.

مرفت: إنه فيما يبدو شاب مهذب.

البرنس: هذا موضوع آخر ... أنا أتكلم عما يعرفه وما يُحسنه.

كريمة: ألا تريدون أن نتناول الشاي؟

مرفت: الآن؟ ... ولماذا العجلة يا عزيزتي كريمة؟ ... بعد قليل ... حدِّثينا أولًا عن إقامتك هنا ... ألم يُتعبك هذا البيت الكبير؟

كريمة: كنت أظن ذلك في مبدأ الأمر ... ولكن اتضح لي بعد ذلك أنه ليس متعِبًا بهذه الدرجة.

مرفت: إنكِ نشيطة ... كلنا يعرف نشاطك.

كريمة: أنتِ أنشط مني يا مرفت ... لقد شاهدتُ عملكِ في بيتكِ بالمعادي ... لا تحبين أنتِ أيضًا كثرة الخدم ... وكل شيء تعمليه بيديكِ.

مرفت: وممن تعلمتُ ذلك؟ ... أليس منكِ أنتِ؟!

كريمة: لا تقولي هذا ... أرجوكِ.

البرنس (لكريمة)**:** وأنا أيضًا تعلمتُ منك ... أتنكرين ذلك؟

كريمة (باسمةً)**:** أهي مؤامرة؟

البرنس: على ذكر المؤامرة ... أخبروني من فضلكم بالصراحة ... المسألة أصبحت واضحة ... ولا يمكن أن يكون كل هذا من تدبير الظروف وحدها ... لم يبقَ شك في وجود تدبير آخر مقصود ... أليس كذلك يا مرفت؟

مرفت: ماذا تعني يا بابا؟

البرنس: أعني أن مجيء الحاج والست كريمة هنا لم يكن محض مصادفة ... لقد فكرتُ في ذلك من قبل ... وحاولتُ الاقتناع بالدافع القوي الذي يحملهما على السكن هنا ... فلمَّا رأيتكم الآن فهمت ...

مرفت: فهمتَ ماذا؟

البرنس: أن الحكاية مُدبَّرة ... إنها مؤامرة؛ الغرض منها أن أعيش مُحاطًا بالعناية و... و...

مرفت: وما الضرر في المؤامرة إذا كانت سليمة العاقبة؟

البرنس: هي أكثر من ذلك ... لقد أرتني سعادة لم أكن أعرفها ... ولكن ... ولكن ...

مرفت: ولكن ماذا؟ ... لا شيء يا بابا ... خذ الأمور بكل بساطة ... لقد قرأتُ الإعلان في الجريدة ... وبالطبع أدركتُ من العنوان غرضك ... وهو أنك لا تريد حياة الوحدة

والعزلة في هذا القصر الواسع ... ولما كنا نخشى غضبك لو جئنا نحن بأنفسنا ... فقد اكتشف زوجي سالم هذا الحل؛ مراعاةً لإحساسك!

البرنس: الواقع ... سالم بك يُخجلني بكل هذه العناية التي لا أستحقها منه.

سالم: بالعكس ... هذا بعض الواجب نحو من هو في حُكم الوالد.

البرنس (في نظرة سريعة نحو كريمة): أو الأخ الأكبر!

عبد السلام (يتنحنح مصححًا وقد فهم): حكم الوالد مقامًا لا سِنًّا!

سالم: هذا ما أقصد.

البرنس: كل ما أخشاه هو أن يكون إقامة عمي الحاج والست كريمة هنا إقامة قهرية يحتملانها من أجلي على مضض.

عبد السلام: على مضض؟ ... ما هذا الكلام؟

كريمة (للبرنس): أرجوك لا تحكم بما لا تعلم ... إقامتنا هنا تسرنا كل السرور.

البرنس: هذا يسعدني كل السعادة.

مرفت: ونحن أيضًا يا بابا ... أنا وجيهان يسرُّنا ويسعدنا أن نأتي لنمكث هنا — إذا سمحتَ — الأيام التي يتغيبها سالم في البحر الأحمر ... ألا توافق على ذلك يا عزيزي سالم؟

سالم: بالتأكيد يا مرفت.

البرنس: كنت أودُّ لو يمكث معنا سالم بك؛ لأقوم نحوه ببعض واجب الضيافة على قدر ما أستطيع ... ولو أن البيت في الحقيقة بيته ... وبيت عمي الحاج والست كريمة ... وما أنا هنا إلا ضيف.

سالم: إنه لسرور لي أن أكون معكم ... وربما أمكنني ذلك ولو يومًا أو يومين ... فأنا مضطر إلى السفر كثيرًا هذه الأيام ... لأن شركة البترول التي أساهم فيها اكتشفت أخيرًا بئرًا جديدة.

البرنس: شيء مفرح! ... سالم بك مساهم أيضًا في ...

مرفت: نعم يا بابا في شركة البترول الشرقية ... نسيتُ أن أخبرك عن ذلك ... لأنه ساهم فيها أخيرًا جدًّا.

سالم: أنا في الحقيقة لم أساهم لغرض الربح وحده ... بل الموضوع ذاته من الناحية العلمية والصناعية يهمني ... هي عادة قديمة عندي ... أن أمارس كل عمل بروح الهواية ... وتَصادف أني قرأتُ واطلعتُ كثيرًا في الأعوام الأخيرة على شئون البترول؛ لارتباطها

بوقود السيارات ... فوجدتُ نفسي أهتمُّ بالموضوع وأدرسه ... وأجد في هذه الدراسة لذة كبرى ... لذة الكشف عن منبع نفع للناس ... هذه اللذة تفوق عندي لذة الحصول على المال.

مرفت: هذا صحيح ... هذا أغرب ما رأيت في طبع زوجي ... كنت أظن أول الأمر أن هدفه في الحياة أن يكون غنيًّا ... ولكن تبيَّن لي فيما بعدُ أن هدفه الحقيقي هو أن يكون منتِجًا.

البرنس: وهل هناك غني غير مُنتِج؟

مرفت: أنت يا بابا ... كنتَ كذلك طول حياتك ... ولا تؤاخذني ...

البرنس: صحيح ... نسيتُ ذلك ... ولكن هل يوجد منتِج غير غني؟

مرفت: زوجي يا بابا ... إنه ليس غنيًّا ... نحن لا نعيش حياة الأغنياء ... نحن نقطن في فيلا صغيرة في المعادي ... وليس لدينا غير خادم واحد ... وسيارتنا يقودها سالم بنفسه ... إنه يحيا حياة أي مهندس عادي في المصنع ... على الرغم من عشرات الآلاف التي يمتلكها.

سالم: إني أمتلكها اسمًا ... لا فعلًا ... أقصد في نظري ... لي نظريتي الخاصة ... وربما كانت هي نظرية رجل الأعمال الحق ... أن أموال المنتِج الحقيقي ولو أنها باسمه، لكنها ملك الدولة ... إنه يضعها في الأعمال ... الأعمال التي يديرها في الظاهر لشخصه ... ولكنها في الحقيقة لحياة مئات الأسر ... ولحياة العلم الصناعي والتطبيقي ... لحياة الإنتاج الشعبي ... وحياة النفع العام.

مرفت: هذا ما يقوله لي سالم دائمًا ... يقول لي إنه أجير ... ويجب أن يعيش كأجير.

سالم: بالضبط يا مرفت ... يعيش كأجير وينتِج كمدير ... يعيش للأعمال لا للمال ... المال عنده مُحرِّك في جهاز الإنتاج العام ... لا ينبغي نزعه واللهو به في الترف الخاص.

البرنس: كلام جميل ... أظن من المستحسن الآن تقديم الشاي.

مرفت (تلتفت باحثةً): أين جيهان؟

كريمة (تبحث بعينيها): أظن في الحديقة.

مرفت: على فكرة ... ما رأيكم لو تناولنا الشاي في الحديقة؟ ... الجو اليوم بديع.

كريمة: أحسن فكرة ... هيا ننقل المعدات إلى الحديقة.

البرنس: وأنا أساعدك.

مرفت: وأنا كذلك.

سالم: وأنا طبعًا.

كريمة: ما دمتم كلكم هكذا من هواة العمل ... فعليكم حمل الفناجين والأباريق ... أما الكراسي فسأدعو الخادم من المطبخ ليُعِدَّها لنا في الحديقة ... هيا بنا إلى العمل ... إلى العمل.

(الجميع يحملون ما على المائدة من فناجين وأطباق وخلافه، ويتوزعون حملها فيما بينهم فرحين ضاحكين، حتى الحاج عبد السلام يريد أن يحمل نصيبه، ولكن البرنس يأخذ منه حمله ... ويخرجون جميعًا من الباب الكبير إلى الحديقة ... ويخلو المسرح لحظة إلا من أصوات الضحكات الآتية من الحديقة ... ثم يدخل بسرعة الدكتور وهو يجذب البرنس من كمه.)

البرنس (يريد أن يُخلِّص نفسه ليعود إلى الحديقة)**:** دعني ... أهذا وقته؟

الدكتور: هذا هو الوقت المناسب ... نحن الآن في عصر الذرة والصاروخ والوصول إلى القمر في ساعتين!

البرنس: الوصول إلى القمر؟

الدكتور: جيهان!

البرنس: ما لها جيهان؟!

الدكتور: أريد أن أتزوجها.

البرنس: شيء جميل!

الدكتور: جدًّا!

البرنس: وهل أخذتَ رأي والدها ورضاه؟

الدكتور: والدها؟!

البرنس: بالطبع! ... أتريد أن تتزوجها بدون رأي والدها ورضاه؟

الدكتور: أوه! ... رأي والدها معروف مقدمًا ... إنه بالتأكيد يُرحِّب.

البرنس: يرحب بمثلك؟!

الدكتور: بدون شك!

البرنس: عشم إبليس في الجنة!

الدكتور: ماذا تقول؟

البرنس: أتعرف ما هو الزواج؟ ... هو أن يتولى الزوج الإنفاق على زوجته ... هو أن يوفِّر لها ضرورات الحياة من سكن وأكل وشرب ونزهة وكسوة وخلافه ... هل تستطيع حضرتك أن تنفق على زوجتك؟ ... ما هي صناعتك؟ ... ما هو عملك؟ ... ما هو كسبك؟

الدكتور: اسمعني أولًا ...

البرنس: ولا كلمة! ... أنا والد مسئول ... يُقدِّر مستقبل بنته ... ابحث عن العمل أولًا ... وبعد ذلك ابحث عن الزواج ... هذا هو المنطق.

الدكتور: مَن الأحمق المغفل الذي قال لك هذا المنطق؟

البرنس: شخص أنت تعرفه جيدًا!

الدكتور: لا أعرفه ... وإذا رأيتُه فإني سأصفعه.

البرنس: أنا مستعد أن أصفعه نيابةً عنك! (يتقدَّم رافعًا يده.)

الدكتور: انتظر! ... ذلك الشخص لم يكن يُقدِّر العواطف ... ولن تجده الآن ... إنه قد تغيَّر.

البرنس: هو أيضًا؟

الدكتور: نعم ... إنه الآن شخص جديد!

البرنس: مبروك!

الدكتور: ليس من الحكمة إضاعة الوقت بهذا الشكل في المهاترة ... قل باختصار: هل توافق؟

البرنس: شيء غريب ... ألا تُفهِمني أولًا ما هو الموضوع؟ ... هل بينكما ...؟

الدكتور: نعم ... شعور متبادَل.

البرنس: متبادَل؟

الدكتور: تجرأتُ وفاتحتُها!

البرنس: في الزواج؟!

الدكتور: وقبلَتْ بدون تردد.

البرنس: قبلتْ؟!

الدكتور: بشرط ...

البرنس: تكلم.

الدكتور: أولًا رضا والدها.

البرنس: أنا؟

الدكتور: لذلك أطلب منك أن تساعدني.

البرنس: أساعدك؟

الدكتور: بأن ترضى عن زواج بنتك.

البرنس: بشخص مفلس؟!

الدكتور: بالضبط ... كما طلب مني شخص آخر مفلس أن أساعده على الزواج من كريمة!

البرنس: تلك مسألة أخرى؟

الدكتور: لا يا سيدي ... إنها نفس المسألة!

البرنس: هل تريد مني أن أخدع نفسي؟

الدكتور: كما أردتَ أن تخدع الحاج عبد السلام!

البرنس: ماذا تقصد؟

الدكتور: أقصد أن وضعنا واحد ... وإذا كنت ترى من حقك أن تتزوج كريمة ... فيجب أيضًا أن ترى من حقي أن أتزوج جيهان.

البرنس (يهرش رأسه مفكرًا): حقيقةً هذه ...

الدكتور: هذه هي العدالة والمساواة ... أليس كذلك؟

البرنس: نهايته! ... أهذا هو الشرط؟!

الدكتور: هذا ليس كل شيء ... هناك شرط آخر هو الأصعب والأهم.

البرنس: ما هو؟

الدكتور: موافقة سالم.

البرنس: ماذا تقول؟

الدكتور: قالت لي جيهان، إن رضاك مُستحسَن من باب اللياقة والواجب ... ولكن الرأي الأعلى والقرار النهائي هو في يد زوج أختها سالم ... الذي تعتبره المتصرف الحقيقي في أمر مستقبلها!

البرنس: شيء غريب!

الدكتور: تقصد كلام جيهان؟

البرنس: بل أقصد كلام كريمة ... هذا نفس كلام كريمة لي منذ قليل!

الدكتور: ماذا قالت لك؟

البرنس: عندما أخبرتُها بقول أبيها الحاج أنها هي صاحبة الرأي في أمرها ... قالت بل الرأي الأعلى النهائي هو لأخيها سالم، الذي تعتبره رب الأسرة الحقيقي.

الدكتور: والنتيجة؟
البرنس: النتيجة لا زواج من كريمة إلا إذا ...
الدكتور: وافق سالم!
البرنس: وأنت كذلك! ...
الدكتور: لا زواج من جيهان إلا إذا ...
البرنس: وافق سالم ...
الدكتور: أي أن السعادة لن تتم لي ولك إلا إذا ...
البرنس: وافق سالم! ...
الدكتور: وافق سالم ...

الفصل الرابع

(نفس البهو في قصر البرنس فريد ... في نفس اليوم، ولكن الشمس أوشكت أن تغيب ... يدخل البرنس بحركة سريعة من الباب الكبير المؤدي إلى الحديقة، وهو يقود ابنته مرفت من يدها.)

مرفت: ماذا تريد مني يا بابا؟

البرنس: كلام هام على انفراد.

مرفت: بخصوصي؟

البرنس: خصوصي أنا وخصوص زوجك!

مرفت: سالم! ... على فكرة، لقد لاحظتُ يا أبي أنك تلاحقه بنظرك، وتتقرب إليه وتتودد أكثر من اللازم!

البرنس: أنا وحدي؟ ... ألم تلاحظي ما كان يفعله الدكتور حمودة؟ ... إنه سيُطير من رأسي بُرجًا ... كلما أردتُ أن أفتح فمي بكلمة سبقني، وكلما حاولتُ الدنُوَّ بمقعدي من سالم زاحمني!

مرفت: هل تريد شيئًا من سالم؟

البرنس: وأي شيء!

مرفت: نقود؟

البرنس: أجُنِنتِ يا مرفت؟!

مرفت: ماذا تريد منه إذن؟

البرنس: يد أخته.

مرفت: يد أخته؟ ... كريمة؟!

البرنس: أيسوؤك أن أتزوج يا مرفت؟

مرفت: بالعكس يا بابا ... أنت رجل وحيد ... ولستَ مُسِنًّا ... بل أنت في عنفوان رجولتك ... وفكرة زواجك معقولة جدًّا ومقبولة ... ولكن ... يا لغرائب الزمن!

البرنس: ماذا؟

مرفت: تقبل الآن أن تتزوج أنت نفسك من هذه العائلة المتواضعة!

البرنس: لا تُوبِّخيني ... ولا تحاسبيني على ما مضى ... تلك كانت أفكارًا قديمة.

مرفت: وكريمة ... أهي موافقة؟

البرنس: إذا وافق سالم!

مرفت: وسالم؟

البرنس: لم أجرؤ على مفاتحته ... لهذا جئتُ بك هنا الآن ... أتستطيعين أن تُقنعيه بالقبول؟!

مرفت: سأحاول.

البرنس: بل ابذلي كل جهدك يا مرفت ... أرجوكِ ... وبسرعة ... الآن إذا أمكنكِ؛ حتى أطمئن.

مرفت: سأنتحي به ناحية في الحديقة وأكلمه.

البرنس: نعم ... كلميه أولًا قبل أن يسبقنا ...

مرفت: يسبقنا من؟

البرنس: الدكتور حمودة.

مرفت: أهو يريد أيضًا كريمة؟

البرنس: بل يريد جيهان.

مرفت: جيهان أختي؟ ... وهل وافقتْ؟

البرنس: إذا وافق سالم!

مرفت: آه ... فهمتُ الآن سِرَّ هذا السباق بينكما على إرضاء سالم!

البرنس: وهذا الدكتور أيضًا مُفلس مثلي ... وإن ضربتين في الرأس ...

مرفت: تقصد رأس سالم؟

البرنس: لهذا يجب أن نُسرع نحن أولًا بالكلام ... ولعل ضربتنا تكون خفيفة ... والدكتور حمودة على كل حال لن يجرؤ هو الآخر على مفاتحته مباشرةً على مائدة الشاي.

مرفت: لقد لمحتُه عند قيامنا أنا وأنت، يغمز بابا الحاج عبد السلام وينهض معه.

البرنس: وما معنى ذلك؟

مرفت (ملتفتةً إلى الباب): ها هما قادمان، فلنخرج إلى الحديقة حيث كنا ...

البرنس (بصوت عالٍ مقصود، وهو يخرج معها إلى الحديقة): كنا نتحدث يا مرفت عن جو المعادي عندكم والخضرة والأشجار ... و...

الدكتور (وهو يدخل خلف الحاج): نريد أن نتحدث يا عمي الحاج عن سيبويه ومنافسة الكسائي!

عبد السلام: حقًّا ... أنا لا أشبع من حديثك الطليِّ الفياض عن هؤلاء العلماء ... ماذا حصل بين سيبويه والكسائي؟

الدكتور (وهو يختلس النظر إلى البرنس، والبرنس يختلس النظر إليه وهو خارج مع مرفت): مناظرة علمية طريفة حصلت بينهما في مجلس هارون الرشيد ... فقد أقبل الكسائي على خصمه سيبويه سائلًا: «كيف تقول: قد كنت أظن العقرب أشد لسعةً من النحلة فإذا هي هي ... أو فإذا هي إياها؟» ... فقال سيبويه: «فإذا هي هي ولا يجوز النصب» ... فقال له الكسائي: «أخطأتَ ولحَنْتَ» ... فوجم لذلك سيبويه، ورأى هارون الرشيد أن يحكم بينهما بعض العلماء ... فدخلوا وشهدوا للكسائي ... فقام سيبويه مدحورًا ... ولكن هارون الرشيد أعطاه عشرة آلاف درهم ... غير أنه ما لبث إلا يسيرًا حتى مات كمدًا ... وقال أصحابه فيما بعدُ: إن العلماء الذين شهدوا ضده كانوا من أصدقاء الكسائي، وقد تآمر معهم على سيبويه.

عبد السلام (متأثرًا): إنا لله وإنا إليه راجعون ... حتى العلم ... وحتى النحو ... تُدبَّر فيه المؤامرات ... ويُستشهد في ميدانه العلماء! هكذا مات سيبويه إذن؟ ... لا من لسعة عقرب أو نحلة ... بل لقوله بعدم جواز نصب النحلة أو العقرب.

الدكتور (ينظر إلى الباب، ويتأكد من خُلوِّ المكان): والآن يا عمي الحاج ... فلندخل في الموضوع!

عبد السلام: نعم ... ندخل في الموضوع ... اشرح لي رأيكَ أنت ... هل هو الجواز، أو عدم الجواز؟

الدكتور: رأيي طبعًا ... الجواز!

عبد السلام: رأيك الجواز؟

الدكتور: بدون تردد ... أنا مصمم على الجواز!

عبد السلام: جواز النصب؟

الدكتور: نصب؟ ... لا ... لا ... لا ... جواز الضم.

عبد السلام: ضم العقرب؟

الدكتور: أعوذ بالله!

عبد السلام: ضم النحلة؟

الدكتور: لا ... لا ... دعنا الآن من النحلة والعقرب!

عبد السلام: ضم ماذا إذن؟

الدكتور: ضم الزهرة ... ضم الوردة!

عبد السلام: ولكن موضوع المناظرة التي كانت بين سيبويه والكسائي ...

الدكتور: الموضوع الآن يتعلق بمناظرة أخرى ... حول جواز آخر!

عبد السلام: مناظرة أخرى؟ ... بين سيبويه والكسائي؟

البرنس: بل بيني أنا وبين سالم بك ...

عبد السلام: بينك وبين سالم؟! ... ما هذا الكلام؟ ... سالم ابني يهتم بالنحو، ويناظرك في النصب والضم؟!

الدكتور: نعم ... ضم جيهان!

السلام: وما دخْل جيهان هنا أيضًا؟!

الدكتور: أريد أن أتقدم لطلب يدها.

عبد السلام: انتظر! ... إنك خرجت بي فجأة من موضوع إلى موضوع.

الدكتور: لا تؤاخذني يا عمي! ... لم أستطع مفاتحتك في هذا الأمر مباشرة ... ومن باب أولى لا يمكن أن أجرؤ على مفاتحة سالم بك ... لا بطريق مباشر ولا غير مباشر ... فليس أمامي إذن غيرك أنت ... وأنت والده ... وليس بينكما بالطبع أي تحرُّج أو كلفة ... هل أستطيع الاعتماد عليك يا عمي الحاج؟

عبد السلام: تريد أن تخطب الآنسة جيهان؟

الدكتور: نعم.

عبد السلام: ألا يحسُن أن تطلبها من والدها؟

الدكتور: طلبتُها من والدها، ومن نفسها.

عبد السلام: وهل تمت الموافقة؟

الدكتور: نعم ... على شرط أن يوافق سالم.

عبد السلام: وأنت تريد مني ...

الدكتور: أن تتفضَّل بإقناع سالم.

عبد السلام: هذا شيء بسيط.

الدكتور: المهم السرعة يا عمي الحاج ... لأن البرنس — كما تعلم — ينوي مفاتحته في شأن كريمة ... والخوف أن يسبقني ... وهو مفلس مثلي ... فتكون خطبة وراء خطبة!

عبد السلام: لا تخف! ... سأذهب إليه الآن في الحديقة، وأنفرد به قليلًا ...

الدكتور: نعم ... اذهب يا عمي ... وفقك الله وسدد خطاك، وجعل النجاح والبركة على يديك!

(يخرج الحاج عبد السلام، ويبقى الدكتور حمودة رافعًا يديه نحو السماء يقرأ الفاتحة ... وقبل أن يختمها بآمين، يدخل البرنس خلف كريمة وجيهان، آتين من الحديقة.)

البرنس (للدكتور)**:** ولا الضالين آمين.

كريمة: مستجابة بإذن الله!

البرنس: ادعُ لنا معك!

الدكتور: ما الذي جاء بكم كلكم دفعة واحدة؟

جيهان: يظهر أنهم يريدون الكلام على انفراد.

الدكتور: بخصوص مَن؟

البرنس: لم نسألهم.

الدكتور: أنا أخاطب الآنسة!

البرنس: وأنا أجيب بالنيابة عن الآنسة!

الدكتور: هي فاهمة قصدي.

البرنس: وأنا فاهم قصدك!

الدكتور: اتفقنا ...

البرنس: هل تريد معلومات أخرى؟

الدكتور: لا مانع ... تفضل.

البرنس: هذه اللحظة يتقرر فيها مصير مسألة خطيرة جدًّا.

الدكتور: بالنسبة لمن؟

البرنس: بالنسبة لي أنا طبعًا.

الدكتور: أنت وحدك؟

البرنس: لا شأن لي بغيري!

الدكتور (بصوت منخفض): الأنانية القديمة! ... صدق من قال إن الطبع يغلب التطبُّع!

البرنس: ماذا تقول؟

الدكتور: أقول إنك نسيتَ بسرعة أن مسألتنا متشابهة ... وأن مصيرنا جميعًا واحد.

البرنس: وما دخل هذا الآن في الموضوع؟

الدكتور: دخل هذا واضح؛ وهو أن نجاح قضيتي معناه نجاح قضيتك ... والعكس بالعكس! ... أي بعبارة أخرى أن المسألة الخطيرة التي يتقرر مصيرها في هذه اللحظة ليست مسألتك وحدك ... بل هي قضيتنا كلنا ... فهمت؟

البرنس: إذن نتحد!

الدكتور: جد هذه المرة؟!

البرنس: هاتِ يدك ...

(يتصافحان، وفي هذه الأثناء تهرع جيهان إلى قرب الباب، وتطل برأسها على الحديقة.)

جيهان: تعالَي انظري يا كريمة!

كريمة (مسرعةً نحو الباب): ماذا يا جيهان؟

جيهان (ناظرةً إلى الحديقة): إنهم جالسون حول المائدة كأنهم على هيئة محكمة!

كريمة (تنظر بجوار جيهان إلى الحديقة): نعم ... نعم ... أخي سالم في الوسط.

جيهان: وأختي مرفت على اليمين.

كريمة (ناظرةً): وأبي الحاج على الشمال.

البرنس: ماذا يفعلون؟

الدكتور: طبعًا يتداولون!

جيهان (تنظر): إنهم يتناقشون.

البرنس: بهدوء؟

كريمة (ناظرةً): أخي سالم يهزُّ رأسه بشدة!

البرنس: بشدة؟!

جيهان (وهي تنظر): وبعنف!

البرنس: عنف؟!

كريمة: مظهره يدلُّ على الغضب.

البرنس: يا ساتر! ...
جيهان: إنه يدق المائدة بقبضة يده.
الدكتور: يا حفيظ! ...
جيهان (وهي تنظر): الظاهر أن الجو مُكهرب.
البرنس: وعضو اليمين؟!
كريمة (وهي تنظر): ساكت.
الدكتور: وعضو الشمال؟!
جيهان: لا ينطق بحرف.
البرنس (للدكتور وهو يرتمي على مقعد يائسًا): ما رأيك؟
الدكتور (وهو يجلس قانطًا): أمرنا إلى الله!
البرنس: يظهر أن عضو اليمين شرابة خرج!
الدكتور: وعضو الشمال طرطور كبير!
البرنس: بالاختصار خسرنا القضية.
الدكتور: مستحيل!
البرنس: هل عندك بعد ذلك أمل؟
الدكتور: الاستئناف! ... أليس لكل حُكم استئناف؟ ... نستأنف الحُكم!
البرنس: أمام من تستأنف؟ ... أيوجد أعلى من سالم؟
الدكتور: وهل يتحكم في رقابنا سالم؟ ... هو إذن دكتاتور!
البرنس: ماذا تقول؟
الدكتور: ما دام الرأي الأعلى رأيه ... وهو لا يريد أن يسمح لأحد أن يناقشه!
البرنس: حاسب! ... أتعلن الثورة ضده؟!
الدكتور: بل ضد الطغيان.
البرنس: هس ... الحيطان لها آذان!
الدكتور: فليكن للحيطان آذان ... هذا خير من أن يكون لنا نحن ذيول!
جيهان (تترك الباب وتُقبِل هاتفةً): برافو!
البرنس: أنتِ أيضًا؟ ... موافِقة على هذا الكلام؟
جيهان: بالتأكيد ... هذا كلام معقول.
الدكتور: هذا هو العدل ... يجب أن يسمح لي بعرض رأيي والتعبير عن وجهة نظري ... فقد يكون هو المخطئ وأنا صاحب الحق.

البرنس: وقد تكون أنت المخطئ ...

الدكتور: ربما ... ولكن يجب أولًا سماع رأيي.

البرنس: رأيك في ماذا؟

الدكتور: في قضيتي!

البرنس: رأيك معروف.

الدكتور: لا يا سيدي ... ما من أحد يُحسِن التعبير عن رأي شخص إلا الشخص نفسه ... هل أستطيع أن أعرف آراءك كما تعرفها أنت؟ ... هل في مقدوري أن أقدِّر صفاتك كما تُقدِّرها أنت نفسك؟ ... إذن فاسمع: سأعرض عليك صفاتك كما أعرفها أنا ...

البرنس: لا يا عزيزي ... أرجوك ... لا شأن لك بصفاتي! ... أعرف مقدمًا ما ستقول عني!

الدكتور: أرأيتَ؟ ... أنت خائف من أني لن أقدِّرك كما تُقدِّر نفسك.

البرنس: لأنك لا تعرفني جادًّا.

الدكتور: هذا لا يمنع من أني أعرف لك صفات ومزايا لا سبيل إلى إنكارها؛ لأنها ظاهرة كالشمس.

البرنس: صفات ومزايا لي أنا؟ ... ما هي؟!

الدكتور: تحب أن أحدِّثك عنها ... بدون أي تملُّق؟

البرنس: أكون لك شاكرًا.

الدكتور: أولًا: أنت لستَ خبيث النفس إلى حد مُزعج ... ثانيًا: لستَ رديء القلب بقدر خطير ... ثالثًا: لستَ سخيف العقل بشكل موئس ... رابعًا: لستَ ثقيل الظل بمقدار مُنفِّر ... خامسًا ...

البرنس: كفاية ... كفاية!

الدكتور: أظن أني أخجلتُ تواضُعك!

البرنس: للغاية!

الدكتور: بالطبع أنت ترى في نفسك أكثر من ذلك!

البرنس: وأنت؟ ... دعني أحدثك عن صفاتك.

الدكتور: تفضل ...

البرنس: أولًا: أنت لست مشاكسًا إلى درجة مُتعِبة ... ثانيًا: لستَ سليط اللسان بمقدار خطير ... ثالثًا: لستَ سيئ العشرة بشكل مُزعِج ... رابعًا ...

الدكتور: إلى آخره ... إلى آخره ...

البرنس: انتظر ...

الدكتور: لا داعي ... النغمة مفهومة!

البرنس: أترى في نفسك أكثر من ذلك؟

الدكتور: إنك لا تعرفني.

البرنس: وأنت أيضًا لا تعرفني.

الدكتور: اتفقنا!

البرنس: فليتكلم كل شخص عن نفسه.

الدكتور: هذا ما سبق أن قلتُه.

البرنس: إذن ابدأ بنفسك!

الدكتور: بالطبع أنا أَعْرَف الناس بنفسي وبقضيتي .... أنا شاب مجتهد ولستُ بخامل ... لقد سهرتُ الليالي في طلب العلم ... ولا يمكن أن يكون جهدي قد ذهب سدًى ... علمي في رأسي ولا بد أن يكون مفيدًا ... وقد شهد بذلك عمي الحاج ... وقال عني إني بحر في العلم ...

جيهان: وأنا أيضًا أقول ذلك ... وإني واثقة أننا — بإذن الله — نستطيع أن نستخرج من ذلك البحر ...

الدكتور: ماذا؟

جيهان: كل ذلك الذي كنا نتحدث عنه ... أنسيتَ تلك المشروعات الكبيرة؟ ... صيد السمك بالكهرباء؟!

الدكتور: اسمعي يا آنسة جيهان، جاء الوقت لأن نتكلم بصراحة: لماذا تحدثينني دائمًا عن السمك كلما تقابلنا؟!

جيهان: أليس هذا اختصاصك؟!

الدكتور: اختصاصي؟ ... من قال ذلك؟

جيهان: ألم تذكر الآن البحر؟

الدكتور: نعم ... ذكرتُ أنه يقال إني بحر في العلم ... ولكن علمي لا علاقة له بالبحر وسمكه!

جيهان: كيف ذلك؟ ... وما هو علمك إذن؟

الدكتور: النحو ... اللغة!

جيهان (تلتفت إلى أبيها البرنس مستفسرةً): اللغة! ... النحو!

البرنس (يهز كتفيه): لا تسأليني أن أفسِّر لك ... هذا شيء لا يمكن أن أفهم رأسه من ذيله!

جيهان: مشروعاتنا إذن انهارت؟!

الدكتور: اسمحي لي يا آنسة ...

جيهان: أنت إذن خدعتني!

الدكتور: أنا أخدعك؟!

جيهان (تمسح دموعها): لماذا جعلتني أبني كل هذه الآمال؟

الدكتور: وما الذي جرى لهذه الآمال؟ ... إنها لم تزل بخير ... وإذا كان على صيد السمك ... هذا عمل لطيف ولا ضرر منه ... ولكن اختصاصي الأصلي ...

جيهان (تبعد باكية، وتخرج إلى داخل القصر وهي تصيح): دعني إذن ... دعني!

الدكتور (يلحق بها قليلًا): يا آنسة جيهان!

البرنس (يهز رأسه ويتمصَّص شفتيه): مسكين!

الدكتور (يلتفت إلى البرنس): أنقذني أرجوك ... ألا تجد طريقة لإنقاذي؟!

البرنس: وقعت؟!

الدكتور: خلصني!

البرنس: غرقت؟!

الدكتور: ليس هذا وقت التشفِّي!

البرنس: بحر العلم غريق في بحر الهوى!

الدكتور (يتحرك للانصراف): سلام عليكم!

البرنس: يئست؟

كريمة (صائحةً وهي بالباب تنظر إلى الحديقة): عضو الشمال ...

البرنس (ملتفتًا إليها): الحاج؟

كريمة (وهي تنظر إلى الحديقة): إنه الآن يتكلم.

البرنس (للدكتور): أبشر يا عم ... أبشر!

الدكتور: لا فائدة ... قضيتي خسرتها الآن هنا قبل النطق بالحكم ... لم يبقَ لي مُوجِب للبقاء هنا ... انتهى كل شيء ... سلام عليكم.

البرنس: أترحل؟

الدكتور: أليس هذا ما كنتَ تتمناه؟

البرنس: هذه مسألة فيها نظر!

الدكتور: سأذهب الآن إلى حجرتي؛ لأُعِدَّ حقيبتي.

البرنس: أكنتَ جئتَ إلى هنا بحقيبة؟!

الدكتور: لا تؤاخذني ... نسيتُ حقًّا أنني جئتُ إلى هنا مُجرَّدًا، وسأنصرف مُجردًا كما جئتُ ... وإن كنتُ في الحقيقة ...

البرنس: ماذا؟

الدكتور: لن أنصرف من هنا كما جئتُ تمامًا!

البرنس: تقصد أنه قد نقص منك شيء هنا؟

الدكتور: أنت تفهم قصدي جيدًا.

البرنس: أذكر أنك جئت لابسًا بدلتك الكاملة ... فلا تنسَ جاكتتك هنا!

الدكتور: لن أنساها ... ولكني سأترك هنا ما هو أهم! ... سلام عليكم!

البرنس: انتظر!

الدكتور: ماذا تريد مني؟

البرنس: عنوانك ...

الدكتور: وما شأنك بعنواني؟

البرنس: عجبًا! ... هل نويتَ نهائيًّا قطع جميع العلاقات؟!

الدكتور: أليس هذا من المُستحسَن؟

البرنس: بالنسبة إليك ...

الدكتور: وإليك أيضًا ...

البرنس: الكلام بخصوصك أنت الآن ... هل يسرُّك حقًّا أن ينتهي هكذا كل شيء بيننا؟!

الدكتور: هذه مسألة فيها نظر.

كريمة (صائحةً وهي تنظر إلى الحديقة): إنهم نهضوا ... إنهم قادمون إلى هنا ... (تترك الباب سريعًا وتجلس على مقعد.)

البرنس (لكريمة): هل مظهرهم يدعو إلى التفاؤل؟

كريمة: لا أدري.

الدكتور (متحركًا للانصراف): يجب أن أذهب.

البرنس: بل الواجب أن تنتظرهم.

الدكتور: لم تَعُدْ لي مصلحة.

(يظهر من الباب الكبير الحاج عبد السلام، وخلفه مرفت وسالم.)

البرنس (ينهض لمرآهم صائحًا كما يفعل حُجَّاب الجلسات): محكمة!
عبد السلام (وهو يُسرع بالجلوس): اجلسوا ... أستغفر الله!
مرفت (تبحث حولها): أين جيهان؟
كريمة: ربما ذهبت إلى التواليت ... سأبحث عنها حالًا! (تخرج.)
عبد السلام: تريدون بالطبع أن تعرفوا ما استقر عليه الرأي؟
البرنس: نحن على أحرَّ من الجمر.
عبد السلام (ناظرًا إلى الدكتور الواقف بعيدًا): ما لك يا دكتور واقفًا هكذا بعيدًا؟ ... اقترب منا قليلًا.
الدكتور: إني كنت ...
عبد السلام (يشير إلى مقعد بجوار البرنس): تعالَ اجلس هنا ...
الدكتور (وهو يقترب): اسمحوا لي أن ...
عبد السلام (مقاطعًا آمِرًا): اجلس يا دكتور، واسمع الكلام.
الدكتور: كلمة واحدة لتوضيح ...
عبد السلام: الصبر طيب يا دكتور! ... اجلس.
الدكتور: أصل موقفي الآن ...
عبد السلام: أرجوك ... اجلس واسمع.
الدكتور: أريد فقط ...
البرنس (يشد الدكتور ويُجلسه بجواره بالقوة، ويضع يده على فمه ليُسكته): اقعد يا أخي واسكت ... لا تُضيِّع وقتنا ... شيء يفلق! ... تفضل يا عم الحاج ... كلنا نسمع.
عبد السلام: الواقع أني لم أتكلم كثيرًا في موضوعكم ... لأن ابني سالم لم يترك لنا مجالًا للكلام ... فقد استعرض الأمر من جميع نواحيه ... واستطاع أن يُقنعنا ويُلزمنا الحجَّة ... ولذلك أرى أن يتكلم هو الآن ويُقنعكم.
سالم: المسألة في غاية الوضوح ... البرنس والدكتور يريد كل منهما تأسيس أسرة ... أليس هذا صحيحًا؟
الدكتور (يحاول النهوض): فيما يخصني ...
البرنس (يُجلسه ويكمِّم فمه بيده): نعم ... هذا صحيح.
سالم: تأسيس الأسرة يحتاج إلى كسب.

البرنس (هامسًا): دخلنا في الجد!

سالم (مستمرًّا): والكسب يحتاج إلى عمل.

البرنس (بلهجة التشاؤم): مفهوم!

سالم: والعمل ...

البرنس: تمام ... عرفنا الحُكم!

سالم: ماذا عرفتَ؟

البرنس: ما دامت المسألة متوقفة على العمل ... فقد أصبح الحكم معروفًا.

سالم: هل تعرف العمل؟

البرنس: أبدًا!

سالم: هل تعرف الحُب؟

البرنس (في دهشة): الحُب؟!

سالم: نعم ... الحُب ... هل تعرفه؟

البرنس: طبعًا ... هذا معروف.

سالم: إذن فقد عرفتَ العمل.

البرنس: وما هي العلاقة؟

سالم: العمل هو الحُب ... هو الهوى ... هو الهواية ... الحب والهوى والهواية ... أظنها في اللغة مترادفات ... أليس كذلك يا دكتور؟

الدكتور: بالضبط.

سالم: كل عمل حق ... كل عمل منتِج هو وليد حب أو هوًى أو هواية ... إذا كانت لك هواية، فأخذتها على سبيل الجد، وتعهَّدتها فإنها لا بد أن تنقلب عملًا ... وعملًا مُنتِجًا ... ولأضرب المثل بنفسي ... كانت هوايتي منذ الصغر هي أن أفكَّ أجزاء الساعات والمنبهات، وأبعثر تُروسها وعقاربها ومُحرِّكاتها، ثم أحاول تركيبها من جديد ... هذه الهواية انقلبت فيما بعدُ عملًا هندسيًّا وخبرة ميكانيكية ... لا خير عندي في العمل الذي يُولَد عن غير طريق الحب ... إنه كاللقيط الذي يُلفَظ من بذرة عابرة ... أو كالجنين الصناعي الذي قد يخرج يومًا من لقاح مجلوب ... أما العمل الحي القوي فهو الذي ينشأ في أحضان الهواية والحب، كالطفل المدلَّل في أحضان الزواج السعيد.

البرنس: كلام جميل!

سالم: قل لي ما هي هوايتك أقل لك ما هو عملك ... إني أعرف ما هي هواية الدكتور ... اللغة.

الدكتور: النحو.

عبد السلام: مثل سيبويه والكسائي والفراء ...

سالم: هذه أسماء أوصلها التاريخ إلى عصرنا هذا ... لماذا؟ ... لأنها أحبَّت فرعًا من المعرفة. ... مهما يكن أثره ... حُبًّا كرست من أجله حياة بأكملها.

عبد السلام: ومنهم من مات أيضًا من أجْله.

سالم: إن من الأعمال ما تعظم، لا بأثرها؛ بل بما بُذِل فيها من حب وتضحية!

الدكتور: هذا قول رائع ... ولكن ...

سالم: ولكن ماذا؟

الدكتور: التخصص في علم النحو لا يُطعِم صاحبه!

سالم: وكيف استطاع أن يُطعم سيبويه وأمثاله؟

الدكتور: كان هناك هارون الرشيد وأمثاله!

سالم: لكل عصر هارونه الرشيد! ... وهارون رشيد هذا العصر هو الصناعة الكبرى ... هو الإنتاج العام ... هو الثروة القومية التي يجب أن تتكفل بإنتاج الذهن الذي يمثل الحضارة ... هذا يحدث في كل بلد غني ... حيثما وُجِد الثراء وُجِد العلماء ... وقلما تجد بلدًا فقيرًا خاملًا غير منتِج يعيش فيه علم أو علماء ... حتى ولا في النحو ... وهل تتصور سيبويه يعيش بنحوه فقط في صحراء جرداء؟

عبد السلام: مستحيل!

سالم: يجب أن يكون هناك عمل منتج للثروة؛ ليكون هناك عمل منتج للذهن ... يجب أن تكون هناك أيدٍ خشنة حتى يمكن أن توجد إلى جانبها الأيدي الناعمة.

عبد السلام: من أجل هذا يرى سالم أن المسألة محلولة على ما يرام!

البرنس: على ما يرام؟

سالم: نعم ... بالنسبة إلى الدكتور ... إنه يستطيع أن يؤلف في علم النحو الكتب التي تنتجها مواهبه.

الدكتور: ومن يشتري هذه الكتب؟

عبد السلام: هارون الرشيد!

سالم: نعم ... شركة البترول.

الدكتور: وما دخْل البترول في النحو؟

سالم: أقول لك ... شركة البترول تضم عددًا كبيرًا من العمال، وقد أنشأتُ لهؤلاء العمال ناديًا به مكتبة كبيرة ... وقد أظهر العمال رغبة أكيدة في القراءة والمعرفة ... وهذه المكتبة في حاجة إلى مدير يُشرف عليها ...

عبد السلام (للدكتور)**:** أفهمت؟

سالم: المرتب جيد ... والوقت يتسع للتأليف.

الدكتور: حقًّا المسألة حُلَّت من هذه الجهة ... ولكن ...

سالم: سننظر في الجهة الأخرى وهي ... البرنس ... هواية الدكتور عرفناها ... (للبرنس) بقي أن نعرف هوايتك!

البرنس: هوايتي؟!

سالم: بالطبع لا بد أن تكون لك هواية ... قالت لي مرفت إنك كنت مهتمًّا بهواية.

البرنس: جمع طوابع البريد ...

(الدكتور يضحك.)

البرنس: ما الذي يُضحكك؟

الدكتور (همسًا)**:** العمل الذي يمكن أن ينتج من هواية جمع الطوابع! ... ماذا؟ ... ساعي بريد؟ ... جامع أعقاب سجاير ... أي لَمَّام سبارس!

البرنس: اخرس ...

سالم (للبرنس)**:** طبعًا كنت تهوى تنظيم وعرض مجموعات الطوابع في ألبومات.

البرنس: نعم ... بأحسن ترتيب.

سالم: إذن أنت تحب عملية الترتيب والعرض!

البرنس: من صغري ... كنت أهوى قصَّ الصور الخاصة بالطيور من الكتب و«أبروزها»، ولما صرتُ شابًّا هويتُ صور السيارات، فجعلت أقصُّها من المجلات ...

سالم: هذا عين المطلوب!

البرنس: المطلوب؟

سالم: نعم ... شركة السيارات ستقيم معرضًا دائمًا يضم جميع الموديلات، وهذا المعرض يحتاج إلى مدير.

البرنس (بفرح)**:** مدير؟

مرفت: المرتب معقول ... وتستطيع أن تحصل على سيارة خاصة بسعر بسيط، وبالتقسيط.

البرنس: أنا في حلم! ... (للدكتور) اقرصني!
الدكتور (يقرصه بغيظ)**:** انبسط!
البرنس (يصرخ من ألم القرص وينهض)**:** أي! ... هذه قرصة عقرب!
الدكتور (همسًا)**:** لتتذكرني؛ لأن فراقنا سيطول!
البرنس: اذهب ... الله لا يرجعك!
الدكتور: الآن؟! ... بعد أن بلغتَ مرادك!

(تظهر كريمة وهي تقود جيهان التي تمسح من عينيها الدموع.)

البرنس (يصيح بكريمة)**:** أبشري يا كريمة ... الحكم صدر لصالحنا ...
كريمة: قبل كل شيء يجب أن نمنع جيهان من البكاء.
عبد السلام: جيهان تبكي؟ ... لماذا؟
الدكتور: لأني خدعتُها!
عبد السلام: ماذا تقول يا دكتور؟
الدكتور: تركتُها تفهم أن اختصاصي في علم البحار وصيد السمك بالكهرباء.
جيهان (وهي تنشج بالبكاء)**:** وجعلني أبني معه مشروعات في غاية الأهمية!
سالم: دعي لي أنا يا جيهان هذه المشروعات، سأحققها لك في يوم من الأيام.
جيهان: وهو ... ماذا يعمل؟
سالم: اتركيه يعمل ما يحبُّه هو ويهواه.
جيهان: وأنا ما مهمَّتي؟
سالم: مهمَّتك ... اسألي أختك مرفت ...
مرفت: مهمتك يا جيهان أن تعاوني زوجك على أداء العمل الذي اختاره هو ... لا أن تفرضي عليه العمل الذي تختارينه أنتِ ... هل رأيتِني يا جيهان أتدخل في عمل زوجي سالم أو في مشروعاته؟ ... إن مهمتي هي أن أسنده لا أن أوجِّهه ... أن أسير بجانبه لا أن أسير أمامه ... أن أكون شريكة حياته وجهاده، لا شريكة اختصاصه ومهنته ... أفهمتِ؟
جيهان (وهي تنظر إلى الدكتور)**:** فهمتُ.
مرفت: لا تسألي زوجك عن عمله، ولكن اسأليه عما يلزمه من معونتك لينجح.
جيهان (تتجه إلى الدكتور)**:** ماذا يلزمك من معونتي لتنجح؟!
الدكتور: عطفك وحنانك ...
جيهان: فقط؟

الدكتور: أهذا قليل؟ ... هذا أثمن كنز ...

البرنس: كلام حلو ... شاطر وبارع في الكلام الذي يلعب بالمخ والعقل ... (ينادي كريمة) اسأليني أنا أيضًا هذا السؤال!

كريمة: أي سؤال؟

البرنس: هذا الذي سألته جيهان!

كريمة: لا لزوم ... أنا أعرف ما يلزمك ...

البرنس: عطفك وحنانك!

كريمة: وشيء آخر نسيته أنت ...

البرنس: ما هو؟

كريمة (باسمةً ابتسامةً ذات معنًى)**:** تفصيص الثوم وتخريط البصل في المطبخ.

(الجميع يضحكون.)

هنـــداوي